بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمدك ربي حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، ... وبعد.

فلا يزال العصر المملوكي يذخر بكثير من الأحداث والوقائع، التي لم يُكشف النقاب عنها، لرجال نهضوا فيه بأدوار مهمة، وتركوا لهم بصمات واضحة، في غير مجال الحرب والسياسة، بيد أن وقوعهم في بعض الهنات، جعلهم هدفاً لسهام بعض المؤرخين، الذين انبروا لكيل الاتهامات لهم، بصورة قد تطغى على ما حققه هؤلاء الرجال على أرض الواقع من إنجازات واضحة للعيان، الأمر الذي يلقي على الباحث في التاريخ مهمة مرتجاة، لاستجلاء الحقيقة نَصَفَةً لهذا الرجل أو ذاك، لكل ما سلف انصرف جهدي للبحث عن الأمير يَلْبُغَا السّالميّ ت٨١١هـ/١٤٠٨م، لاستجلاء ما تقلده الرجل من وظائف جسام، وما نهض به من جلائل الأعمال، أو ما وقع فيه من ملمات، ووزن كل ذلك بميزان النقد والحياد العلمي، لإعطاء الرجل حقه فيما نهض به من أعمال وجهود، أو البحث عن أسباب لما وقع فيه من هنات، فكان هذا الموضوع الموسوم بـ " الأميرُ المملوكيّ يَلْبُغَا السّالميّ، حياتهُ وجهودهُ ت٨١١هـ/ ١٤٠٨م".

وقد جاء هذا الموضوع فى مبحثين مسبوقين بمقدمة ومشفوعين بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع ثم فهرست للموضوعات، على النحو التالي:

المقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث.

وجاء المبحث الأول بعنوان" حياة يَلْبُغَا السّالميّ ووظائفه " حيث عرفت فيه بنشأة الرجل، ثم ظهوره على مسرح الأحداث في الدولة المملوكية، بعد اضطلاعه بواقعة صفد، تلك التي كانت لها الأثر المهم في عودة برقوق لسلطنته الثانية سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م، واهتمامه من يومئذ بيَلْبُغَا السّالميّ حتى جعله واحداً من الأوصياء على ولده السلطان الناصر فرج، والذي في عهده تقلد يَلْبُغَا الأستادارية، فنهض بمهامها نهوضا حسناً، ثم استحوذ يَلْبُغَا السّالميّ بعد ذلك على صلاحيات مهمة عند خروج السلطان فرج لقتال تيمورلنك في بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م، تلك التي ترتب عليها صراع نائب الغيبة الأمير تمراز الناصري مع يَلْبُغَا السّالميّ، ذلك الصراع الذي لم ينته إلا بعودة السلطان فرج منهزما من بلاد الشام، ومنحه حينئذ سلطات مطلقة ليَلْبُغَا السّالميّ لجمع الأموال، وإعداد القوات اللازمة للخروج لقتال تيمورلنك، وما ترتب على ذلك من قيام يَلْبُغَا باتخاذ إجراءات مالية قاسية لجمع الأموال من الناس كافة، الأمر الذي دفع كبار الأمراء للمكر به للتخلص منه، وهو ما تحقق على أرض الواقع، حيث عزله السلطان فرج

من الأستادارية سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م، وما لبث أن عاد يَلْبُغَا السّالميُّ لواجهة الأحداث مرة أخرى، بعد أن جعله السلطان فرج مشيراً ثم أستاداراً سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٣م، ثم عزله في السنة التالية، لإخفاقه في النفقة على المماليك السلطانية، وأخيراً استقر السلطان بيَلْبُغَا السّالميُّ مشيراً للدولة سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، ليخوض جمال الدين يوسف الأستادار صراعاً ضده، لتوجسه من مكانته وصلاحياته في السلطنة، ولتكون نهاية يَلْبُغَا السّالميُّ ومنيته على يدي غريمه سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م.

وخصص المبحث الثاني للحديث عن " جهود يَلْبُغَا السّالميُّ وأعماله"، والتي تمثلت في جوانب ثلاثة، أولاها: حسن نهوض الرجل بمهمة النظر على ثلاث من المنشآت الدينية التي تقلدها في عصر الظاهر برقوق، وحله لمشكلاتها بصورة راقت لمعاصريه من المؤرخين.

وثانيها: الجهود الاقتصادية والمالية والتي تمثلت في وضعه لقواعد ثابتة لتحديد قيمة الوارد لديوان المرتجع، وإبطاله لبعض المكوس الجائرة، تلك التي تنفس الناس الصعداء لإلغائها، ثم ضربه للدينار السّالميّ كامل الوزن، والذي حاز على ثقة الناس كافة، فراج التعامل به عدداً، ومواجهته لمشكلة التعامل بالفلوس النحاسية غير منضبطة الوزن عدداً، فجعل يَلْبُغَا السّالميُّ التعامل به وزناً لا عدداً، الأمر الذي راق للناس كافة، ثم ضبطه لأسعار صرف العملات النقدية في مقابل بعضها بعضاً.

وثالثها: الجهود الشرعية، والتي تمثلت في محاربة يَلْبُغَا لأم الخبائث، وأماكن صناعتها وبيعها، ومحاولته إلزام النصارى بقواعد الشرع الحنيف.

وجاءت الخاتمة للتنويه بأهم النتائج المستقاة من دراسة هذا الموضوع .

وبعد فهذه محاولة للاجتهاد، وللكشف عن حياة الأمير المملوكي يَلْبُغَا السّالميّ وجهودهُ، فإن كنت أصبت فيها فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن كانت الأخرى فحسبي أني مجتهدٌ، وفي درب البحثِ ملتمسٌ، وللحقيقة باغٍ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث /مسعد سيد محمد كتبى

المبحث الأول

حياة يَلْبُغَا السّالميِّ ووظائفهُ.

أولاً: نشاة يَلْبُغَا السّالميِّ وحياتهُ في عصر السلطان برقوق.

صاحب شخصية هذا البحث هو الأمير سيف الدين أبو المعالي، يَلْبُغَا بن عبدالله السّالميِّ، أحد مشهوري الأمراء في دولة الظاهر برقوق [١] وولده الناصر فرج [٢]، اسمه يوسف وأبواه مسلمان، وأصله من سمرقند [٣] ومنها سُبي ثم تنقل بين أيدي التجار، حتى آل أمره إلى التاجر سالم، الذي حمله إلى مصر مع غيره من الأرقاء الذين قامت دولة المماليك على استمرار جلبهم إليها، فاشتراه الأمير برقوق قبل سلطنته، وسماه يَلْبُغَا، ونسبه إلى تاجره، ورباه في الطباق [٤]

---

(١) برقوق بن أنص الظاهر أبو سعيد الجركسي، جلب من بلاده، والتحق بخدمة يَلْبُغَا الكبير، ونفى عقب مقتله إلى الشام، ثم آب إلى مصر والتحق بخدمة الأشرف شعبان، وبعد موته ارتقى برقوق العديد من الوظائف، حتى استقر على أريكة السلطنة فى سنة٧٨٤ هـ/١٣٨٢م، بعد أن نحى السلطان الصالح حاجي، وقاتل برقوق منطاشاً ويَلْبُغَا غير مرة حتى قتلهما، وظل في السلطنة حتى توفى في شوال سنة ٨٠١ هـ/يونية ١٣٩٩م. السخاوي (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٣ /١١، ١٢، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

(٢) فرج بن برقوق بن أنص الناصر، ولد سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٩م حين نشب النزاع بين والده برقوق ويَلْبُغَا الناصري ومنطاش، فسماه أبوه بلغاق أي فتنة، ولما عاد برقوق للسلطنة سماه فرجاً، واستقر فرج في السلطنة بعهد من أبيه في شوال سنة ٨٠١ هـ / يونية ١٣٩٩م وهو دون عشر سنين، واختلف مماليك أبيه عليه كثيراً، ونزل بلاد الشام مراراً لقتالهم، ثم خُلع من السلطنة سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م بأخيه عبد العزيز وعاد بعد شهرين، واستمرت الفتن بينه وبين كبار الأمراء حتى قُبض عليه وقُتل على يد نوروز وشيخ في صفر سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢م. ابن الصيرفي (علي بن داود الجوهري ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ٢ / ٣٢٢، تحقيق وتعليق د/ حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١م، السخاوي : الضوء اللامع ٦ / ١٦٨ .

(٣) سمرقند: قصبه إقليم السغد مبنية على ضفاف واديه، تقع شرقي بخارى على بعد مائة وخمسين ميلاً من جهة الشرق، ضربها المغول سنة ٦١٦هـ /١٢١٩م، ولم تستعد مجدها إلا حينما اتخذها تيمور عاصمة له ، وجدد بناءها في ختام المائة الثامنة، ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) : معجم البلدان ٣ / ٢٤٦ ،٢٤٧، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م، القلقشندي (أحمد بن علي ت٨٢١هـ /١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا ٤/٤٣٤، ٤٣٥، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه / محمد حسين شمس الدين، دار الفكر ودار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠٦، ٥٠٨ ، نقله إلى العربية وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ووضع فهارسه/ بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(٤) الطباق : مفردها طبقة أو طبق، وهي الأماكن

كأقرانه، وتعلم يَلْبُغَا القراءة والكتابة وبرع فيها، ثم أعتقه برقوق ورقاه حتى صار من جملة الخاصكية [١]، لما اتصف به من مهارة وحنكة وميل إلى التحصيل العلمي، حتى إن برقوقاً عهد إليه بالمداومة على قراءة كتاب الكلم الطيب [٢] بين يديه [٣] .

ولا يعلم على وجه اليقين تاريخ مولد يَلْبُغَا السّالميِّ ولا دخوله إلى مصر، ولكن المقطوع به عند غير واحد من المؤرخين[٤] أن مقتله كان في السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٨١١هـ/ السادس من نوفمبر ١٤٠٨م، عن بضع وثلاثين سنة، فيكون مولده غالباً بعد سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، ودخوله إلى القاهرة قبيل تولي برقوق السلطنة، وقيام دولة المماليك الثانية سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وقد تجاوز يَلْبُغَا يومئذ العاشرة من عمره.

كان أول ظهور ليَلْبُغَا السّالميِّ على مسرح الأحداث في الدولة المملوكية في سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م، حيث أُطيح بأستاذه وربيب نعمته السلطان برقوق من الحكم على يدي الأميرين يَلْبُغَا الناصري [٥]

التي، يسكنها المماليك الذين يشتريهم السلطان أو الأمراء وتعد كالمدارس العسكرية، وكانت الطباق موجودة في أماكن متفرقة في القاهرة وخارجها لاسيما في القلعة، وبلغ عددها اثني عشر طبقاً أو أكثر، وكان بعضها يشغل مساحة كبيرة كأنه حي بأكمله قد يحتوي على ألف مملوك. محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٢٢٨، ٢٢٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، ١٩٨٣م .

(١) الخاصكية: هم المماليك الذين يلازمون السلطان في خلواته، ويسوقون المحمل الشريف، ويُجهزون في المهمات الشريفة، والمتعينون للإمرة والمقربون في المملكة، وكان عددهم في عهد الناصر محمد بن قلاوون أربعين خاصكياً، ثم ازدادوا على ذلك حتى صاروا في أيام الأشرف برسباي نحو ألف، ومنهم من هو صاحب وظيفة، ومنهم من لا وظيفة له. البقلي : التعريف ص ١١٤.

(٢) الكلم الطيب لابن تيمية، أحمد بن عبد الحميد الحراني الحنبلي الدمشقي، توفى سنة ٧٢٨هـ/ م. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله الرومي ت١٠٦٧هـ / ١٥٥٦م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١٥٠٦/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م .

(٣) المقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي ت ٨٤٥ هـ /١٤٤١م): درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة ٣ / ٥٤٣، تحقيق د/ محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م، ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ١٢ / ١٧٤، حققه د/ محمد محمد أمين وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٨٤-٢٠٠٩م، السخاوي: الضوء اللامع١٠/٢٨٩.

(٤) المقريزي: درر العقود ٥٤٨/٣، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٧٧/١٢، السخاوي: الضوء اللامع١٠/٢٩٠.

(٥) يَلْبُغَا الناصري: كان من أكابر مماليك يَلْبُغَا العمري أستاذ برقوق، ترقى في المناصب حتى صار أمير مائة مقدم ألف، ثم خالف برقوقاً لما تسلطن وخرج عليه فحسبه، ثم أطلق سراحه

ومنطاش [١]، وأُودع في سجن الكرك[٢] في جمادى الآخرة من السنة ذاتها ٧٩١هـ/يونية ١٣٨٩م ، بينما كان يَلْبُغَا السَّالميُّ قد تقلبت به الأحوال، وخدم غير واحد من الأمراء حتى انتهى به المطاف حينئذ لخدمة الأمير قطلوبك النظامي [٣] نائب صفد[٤]، وصار دويداراً [٥] له، وسلك يَلْبُغَا

وولاه نيابة حلب، وانضم يَلْبُغَا لمنطاش ضد السلطان برقوق وخلعاه من السلطنة، وحبساه في الكرك سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م وأعادا الصالح حاجي، وصار يَلْبُغَا مدبراً للمملكة، ثم تنازع يَلْبُغَا ومنطاش على السلطة، فقبض منطاش على يَلْبُغَا وحبسه في الأسكندرية، ولما عاد برقوق لسلطنته الثانية سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م أطلق سراحه، ثم أرسله لقتال غريمه منطاش في بلاد الشام، وجعله نائباً على دمشق سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م، ثم قبض عليه وقتله بقلعة حلب في السنة ذاتها. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢/ ١٢٦- ١٢٨، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د ط ت .

(١) منطاش الأشرفي: نسبة للأشرف شعبان بن حسين، ترقى في المناصب، حتى صار أتابكاً، ودارت له مع الظاهر برقوق محناً وفتناً شاركه فيها يَلْبُغَا الناصري، حتى خلعا برقوقاً من السلطنة وأعادا السلطان حاجي سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م، وأصبح منطاش أميراً كبيراً له، ثم غدر منطاش بحليفه يَلْبُغَا وقبض عليه وحبسه، ولما عاد برقوق لسلطنته الثانية سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م أفرج عن يَلْبُغَا الناصري ثم أرسله لقتال منطاش، الذي هرب نحو نعير أمير العرب، فكاتبه السلطان لتسليمه له، فقبض عليه نعير وأرسله إلى حلب فحُبس فيها، ثم أمر السلطان برقوق بقتله سنة ٧٩٥هـ /١٣٩٣م. ابن حجر(أبو الفضل أحمد بن علي ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م) : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ٦ / ١٢٨-١٣٠، تحقيق / محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط٢، ١٩٧٢م، السخاوي: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام ١ / ٣٠٦ ، تحقيق د/ بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

(٢) الكرك: إحدى نيابات الشام في عصر الدولة المملوكية، كان مركزها قلعة حصينة تقع في طرف بلاد الشام من نواحي البلقاء، في الجبال المنحصرة بين أيلة والبحر الأحمر وبيت المقدس، وكانت القلعة على سن جبل عال، تحيط بها أودية إلا من جهة الربض. ياقوت: معجم البلدان ٤/ ٤٥٣.

(٣) قطلوبك النظامي، تولى نيابة الوجه القبلي، ثم نقله برقوق لنيابة صفد، وتحالف مع يَلْبُغَا الناصري ومنطاش لما خرجا على برقوق سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م، ثم قتله السلطان برقوق في سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٥ / ٢٤٤، ٢٤٩ ،٢٦١، تحقيق / محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

(٤)صفد: مدينة من جند الأردن، في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام. ياقوت: معجم البلدان٣/٤١٢.

(٥) الدوادار: اسم فارسي مركب من لفظين، أحدهما: عربي وهو الدواة، والثاني: دار ومعناه ممسك، وصاحب هذه الوظيفة هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما، ويتولى أمرها مع ما يلحق ذلك من المهمات، كتبليغ الرسائل

السّالميُّ سياسة حكيمة مع سكان صفد، كما أحسن إلى مماليك أستاذه وتألفهم جميعا حتى أحبوه وصارت له عليهم طاعة[١] .

وسرعان ما ترامت الأنباء إلى صفد في ذي القعدة من السنة نفسها ٧٩١هـ/أكتوبر١٣٨٩م، بنجاح برقوق في الخروج من محبسه في الكرك، وانضمام بعض المؤيدين له وقتاله لمخالفيه، وتأهبه للزحف على دمشق للاستيلاء عليها في شوال سنة ٧٩١هـ/سبتمبر١٣٨٩م، مما أربك قطلوبك النظامي نائب صفد الموالي لمنطاش، وشد في الوقت نفسه من أزر مؤيدي برقوق في صفد وعلى رأسهم يَلْبُغَا السّالميُّ [٢] ، فتأهب نائب صفد للخروج لمساندة حليفه جنتمر [٣] نائب دمشق، بينما بادر يَلْبُغَا السّالميُّ بالاتفاق مع المماليك الظاهرية في المدينة على الخروج على نائبها والقبض عليه، وإطلاق سراح المسجونين المؤيدين لهم، وعلى رأسهم الأمير إينال اليوسفي [٤] نائب حلب السابق، والأمير قجماس [٥] ابن عم

عن السلطان، وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف، وتقديم البريد. القلقشندي: صبح الأعشى ٤ /١٩، البقلي: التعريف ص ١٣٩.

(١) ابن قاضي شهبة(تقي الدين أبو بكر أحمد ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٧م): تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٢٩٧، تحقيق/ عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، د ط، ١٩٩٤ – ١٩٩٧م، المقريزي: السلوك ٢٦١/٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٥٨/١١.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ٢ / ٣٤٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(٣) جنتمر أخو طاز الأشرفي، تنقلت به الأحوال في الخدم في مصر والشام، ومرت به محن متعددة من الحبس وغيره، إلى أن استقر أتابكاً في دمشق، ثم حُبس في صفد مدة وأطلقه يَلْبُغَا الناصري، وناب عنه في دمشق في غيبته، ثم كان ممن قام على برقوق لما حاصر دمشق، ولما انهزم منطاش من الظاهر في شقحب وهرب قام جنتمر في أمر منطاش وناصحه، ثم قُبض برقوق على جنتمر وأحضره إلى القاهرة وحبسه في القلعة، ثم قتله سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م مع عشرة من الأمراء الذين خرجوا عليه. المقريزي: درر العقود ١/ ٥٨١، الدرر الكامنة ٨٢/٢، ابن تغري بردي: المنهل الصافي٢٢٥/٩.

(٤) إينال اليوسفي اليَلْبُغَاوي، أصله من مماليك يَلْبُغَا العمري الخاصكي، ترقى بعد موت أستاذه حتى صار من جملة الأمراء بالديار المصرية، ثم أراد أن يستبد بتدبير سلطنة المنصور علي بن الأشرف شعبان دون برقوق، الذي حاربه وقبض عليه وسجنه في الأسكندرية سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م، ثم أطلق سراحه وولاه نيابة طرابلس ثم حلب، ولما تسلطن برقوق جعله أتابكاً على دمشق، ثم عاد به إلى حلب، فعصى وانضم ليَلْبُغَا الناصري الذي حبسه في صفد، ثم عاد للطاعة بعد أن أُطلق يَلْبُغَا السالمي سراحه في واقعة صفد، وولاه برقوق نيابتها سنة٧٩٢هـ/١٣٩٠م، ثم طلبه للقاهرة وجعله أتابكاً وعظم شأنه، حتى مات سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م. ابن تغري بردي : المنهل الصافي١٨٩/٣- ١٩٣.

(٥) قجماس بن عبدالله سيف الدين، أحد مقدمي

برقوق من محبسهم في قلعة صفد، وأدرك نائب صفد عجزه عن المواجهة، فأسرع بالفرار في قلة من خواصه، متجهاً نحو مصر، ليلوذ بحليفه الأمير منطاش(١).

صار إينال اليوسفي حاكماً لنيابة صفد، ويَلْبُغَا السّالميّ مساعداً له، وغنم الرجلان كل ثروات نائب صفد وأثقاله فتقووا بها، وأسرع يَلْبُغَا السّالميّ بإرسال البشرى إلى برقوق الذي كان على أبواب دمشق، فاشتدت عزيمته على الاستيلاء عليها، وسرعان ما خرج يَلْبُغَا بمائتين من المؤيدين له من صفد لنصرة برقوق، فأدركه علي قبة يَلْبُغَا(٢)، فاشتدت عزيمته ورجع لحصار قلعة(٣) دمشق حتى تمكن من الاستيلاء عليها، وهزيمة الأمير منطاش ومن معه في المحرم سنة ٧٩٢هـ /ديسمبر١٣٨٩م، فدانت له بذلك بلاد الشام كافة، (٤) وهو ما حدا بابن قاضي شهبة(٥) إلى القول:" ثم وقعت في هذه الأيام قضية صفد فانتصر بها الظاهر برقوق ".

حفظ السلطان برقوق ليَلْبُغَا السّالميّ حسن صنيعه معه في محنته التي مر بها، ودوره في انتزاع نيابة صفد من نائبها، ثم انضمامه هو والمؤيدين له، حتى نجح في الاستيلاء على نيابة دمشق، ثم عودته إلى السلطنة، لتبدأ بذلك فترة حكمه الثانية في صفر سنة ٧٩٢هـ/ يناير١٣٩٠م، لذلك عهد برقوق ليَلْبُغَا ببعض مهام السفارة، منها خروجه في سنتي ٧٩٢هـ/١٣٩٠م و ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م على البريد لتقليد الأمير نعير (٦) إمرة العرب في بلاد الشام، وكذلك

الألوف بالديار المصرية، ووالد الأمير إينال باي أمير أخور، توفي في سلطنة الظاهر برقوق الثانية بعد سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي٩/٣٧.

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٣/٢٩٧، المقريزي: السلوك ٥/٢٦١.

(٢) قبة يَلْبُغَا: كانت قرية في القدم، عند المدخل الجنوبي لمدينة دمشق من خارجها أمام زاوية العسالي، شيدها الأمير يَلْبُغَا اليحياوي سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، احتفالاً بخلعه السلطان الملك الكامل شعبان، وكانت تعرف في العصر المملوكي بقبة النصر، ومن المعتقد أن القبة التركية القائمة أمام زاوية العسالي قامت على أنقاضها. قتيبة الشهابي: معجم دمشق التاريخي ٢/١١٥، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، دط، ١٩٩٩م.

(٣) قلعة دمشق: تعرف بقلعة الشام وبالقلعة المحروسة، تقع عند الزاوية الشمالية الغربية لسور دمشق، أنشأها أتسز بن أوق الخوارزمي حاكم دمشق السلجوقي سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م بعد أن انتزعها من الفاطميين، وظل بناؤها في زيادة حتى عهد الملك العادل أخي صلاح الدين، الذي هدمها وأعاد بناءها، وتعاقب على الإقامة فيها كثير من الحكام في العصور المختلفة. قتيبة الشهابي: معجم دمشق التاريخي ٢/ ١٢٥،١٢٦

(٤) المقريزي: السلوك ٥/٢٦١، ابن حجر: إنباء الغمر ٢/٣٤٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/٣٥٨.

(٥) تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/٢٩٧.

(٦) نعير: محمد بن حيار بن مهنا، أمير آل فضل بالشام، تولى الإمرة بعد أبيه، ودخل القاهرة لما خرج منطاش على برقوق، ولما عاد برقوق من الكرك للحكم وافق نعير منطاشاً وحاصر حلب، ثم غدر منطاش بنعير وسلمه لبرقوق، الذي

خروجه في ذي القعدة سنة ٧٩٧هـ/أغسطس ١٣٩٥م إلى مكة المكرمة في صحبة الشريف حسن [١] بن عجلان لتنصيبه أميراً عليها [٢] ،كما عهد السلطان برقوق ليَلْبُغَا بمهمة النظر على بعض المنشآت الدينية [٣]،فأحسن القيام بشؤونها، بشكل راق للسلطان، فجعله أمير عشرة [٤] في صفر سنة ٨٠٠هـ/أكتوبر ١٣٩٧م [٥] .

ظل يَلْبُغَا السّالميُّ يحظى بمكانة مرموقة عند السلطان برقوق حتى اللحظات الأخيرة من حياته، ولا أدل على ذلك من أن الرجل جعله واحداً من مجلس الأوصياء [٦] العشرة – وهو دون الثلاثين سنة – على ولده فرج لحين بلوغه، وذلك في شوال سنة ٨٠١هـ/يونية ١٣٩٩م، وتولى يَلْبُغَا السّالميُّ بنفسه تحليف الأمراء على الطاعة للسلطان الجديد، كما تولى الإنفاق [٧] عليهم وفقاً لرسوم ونظم الدولة المملوكية عند تقلد سلطان جديد

غضب عليه وطرده من البلاد، فأغار نعير على بني عمه الذين قررهم برقوق أمراء على عرب الشام مكانه وطردهم، ثم عاد نعير لإمرة العرب بعد موت برقوق، ودارت الفتن بينه وبين الأمير جكم نائب حلب، فقبض عليه وأرسله إلى القاهرة فقُتل فيها سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م. ابن حجر: إنباء الغمر٥/٣٤٩،٣٥٠، السخاوي: الضوء اللامع ١٠/ ٢٠٣، ٢٠٤.

(١) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي، ولد بمكة سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م، وعاش في كنف أخيه أحمد أمير مكة الذي مات سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م، فجاء حسن إلى القاهرة لنيل الإمرة لأخيه علي، ثم عاد وأرد انتزاعها منه، فُاعتقل وظل حبيساً بمصر حتى قُتل أخوه علي، فنصبه السلطان برقوق أميراً على مكة خلفاً له، وانتقم من بني حسن قتلة أخيه، وعظم أمره حتى صار نائباً للسلطنة على الحجاز كله ثنتين وثلاثين سنة، مات في القاهرة لما قدم لزيارة السلطان برسباي سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م. السخاوي: الضوء اللامع ٣/ ١٠٣، ١٠٤.

(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٣/٥٥٥، المقريزي: السلوك ٥/٣٠٣، ٣٣٨،٣٧٥، ٣٧٦ ابن حجر: إنباء الغمر ٣/٢٥٢، ٢٥٣.

(٣) سيتم الحديث عنها بالتفصيل في الفصل الثاني .

(٤) أمير عشرة: كان لكل أمير من هؤلاء عشرة مماليك، وليس لهم الحق في دق الطبول تشريفاً لهم، ووصل عدد أمراء العشرات في الجيش المملوكي إلى خمسين أميراً. البقلي : التعريف ص ٤٤.

(٥) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٣/٦٥٠، المقريزي: السلوك ٥/٤٠٩، السخاوي: الضوء اللامع١٠/٢٨٩.

(٦) كان هذا المجلس من عشرة أوصياء من كبار الأمراء بقيادة الأمير الكبير أَيْتَمُشْ، الذي عهد إليه السلطان القيام بتدبير دولة ولده فرج، وجعله وصياً على تركته، كما جعل الخليفة المتوكل على الله محمد ناظراً على الجميع. المقريزي: السلوك ٥/٤٤٢، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١٢/١٠٤.

(٧) نفقة البيعة: من أهم مراسيم السلطنة، وتسمي نفقة السلطنة، حيث يقوم السلطان من خلالها بتوزيع نفقة نقدية على الأمراء بهدف تدعيم قواعد حكمه الجديد. محمد عبدالله سالم العمايرة: المعجم العسكري المملوكي ص ٣٢٥، دار كنوز المعرفة، عمان ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

لحكم البلاد [١].

ثانياً: ولاية يَلْبُغَا السَّالميِّ الأولى للأستادارية [٢] سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م، وصراعه مع نائب الغيبة وقضية الجبايات.

استهل يَلْبُغَا السَّالميِّ عهد السلطان فرج بن برقوق بعرض الأستادارية عليه من الأمير الكبير أَيْتَمُشْ [٣] القائم بتدبير [٤] دولة الناصر فرج، بيد أن السَّالميِّ أعرض عنها خوفاً من تحمل أعبائها في ظل حالة من التوتر انتابت العلاقة بين الخاصكية وكبار الأمراء، لشعور أولئك بشيء من الغبن والظلم لقلة النفقة عليهم، ترتب عليها غضب الخاصكية وقبضهم [٥] على عدد من كبار الأمراء وحبسهم، ولما نجح الأمير الكبير أَيْتَمُشْ في رأب الصدع بين الفريقين كلف يَلْبُغَا السَّالميِّ بتحليفهما على الطاعة له وللسلطان، ثم النفقة عليهم مرة أخرى لتأليف القلوب، فنهض يَلْبُغَا بالمهمة نهوضاً حسناً [٦].

أثبت يَلْبُغَا السَّالميِّ منذ بداية عهد السلطان فرج بن برقوق مهارة وجدارة في القيام بما أُسند إليه، مما دفع الأمير أَيْتَمُشْ إلى عرض الأستادارية عليه كرة أخرى في ذي القعدة سنة ٨٠١هـ/يولية ١٣٩٩م، بعد عزل تاج الدين بن أبي الفرج [٧] منها فقبلها يَلْبُغَا،

---

(١) المقريزي: السلوك ٤٤٢/٥، ابن حجر: إنباء الغمر ٢٨،٢٩/٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠٤/١٢.

(٢) الأُستادار: مهام صاحبها الإشراف على بيوت السلطان كلها، وله سلطات واسعة في طلب ما تحتاجه بيوت السلطان من النفقات والكساوي، ويكون لأرباب الوظائف الكبرى أستادار مثل السلطان. القلقشندي: صبح الأعشى ٤/ ٢١، محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ص ١٥، دار الفكر ، دمشق وبيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

(٣) أَيْتَمُشْ البجاسي، أحد مماليك الأمير أسندمر البجاسي، ترقى بعد موته وصار من جملة الأمراء فى مصر، وتولى الأتابكية، كما شارك مع برقوق فى قتال يَلْبُغَا الناصري ومنطاش، ثم عاد إلى مصر بعد عودة برقوق لسلطنته الثانية سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م، فأعاده برقوق إلى وظائفه، وجعله مدبراً لمملكة ولده فرج، ثم خاص صراعاً ضد مناوئيه من الأمراء، حتى قبض عليه الناصر فرج وقتله فى دمشق سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م. ابن تغري بردي: المنهل ٣ / ١٤٣ – ١٥١ .

(٤) مدبر المملكة: أو مدبر الدولة ، يطلق على أكبر أكبر الأمراء بعد السلطان من ذوي الرتب العليا في الجيش، وهو الذي ينظر في الأمر ويتبصر عاقبته، وغالباً ما يكون أتابك العسكر أو نائب السلطنة، أو من الوزراء أرباب السيوف. القلقشندي: صبح الأعشى ٦ / ٢٧، ٧٠، العمايرة: المعجم العسكري المملوكي ص ٢٧٤.

(٥) لمطالعة أسماء هؤلاء الأمراء المقبوض عليهم يمكن الرجوع إلى المقريزي: السلوك ٤٥١/٥، ٤٥٢.

(٦) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٢١/٤، المقريزي: السلوك ٤٥١/٥-٤٥٣، ابن حجر: إنباء الغمر ١٣٤/٦ ، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٧٤،١٧٥/١٢ .

(٧) تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج بن نقولا الأرمني القبطي، كان أبوه صيرفياً بقطياً فخلفه ولده عليها، ثم صار كاتباً بها، وأضيف إليه نظرها سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٦م، ثم استقر وزيراً

خاصة وقد هدأت الأحوال بين الخاصكية وكبار الأمراء، وتمت ترقية يَلْبُغَا من أمير عشرة إلى أمير مائة مقدم ألف[١] دفعة واحدة،لمهارته وقدرته على النهوض بما أُسند به إليه، وذلك في المحرم سنة ٨٠٢هـ/سبتمبر١٣٩٩م، ولُقب بأستادار العالية[٢]،

وكانت مهام الأستادار في العصر المملوكي هى الإشراف على كل من فى بيوت السلطان من المماليك والخدم وتوفير كل ما يحتاجونه من النفقات والكساوى[٣]، وظلت مهام الأستادار على هذا النحو، حتى استحدث السلطان برقوق ديوان المفرد[٤]، واختصه بالإشراف على شؤون إقطاعه، وتوفير وصرف مخصصات مماليكه، وأضاف إليه كثيرا من أعمال الديار المصرية، وصار المشرف على هذا الديوان أستادار العالية، الذى قوى جانبه على حساب الوزير ومهامه[٥].

بالديار المصرية بعدما بذل الأموال للظاهر برقوق سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م بدلاً من ابن الطوخي، ثم تولى الأستادارية في سلطنة الناصر فرج بن برقوق سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م وعُزل منها، ثم تولى الوزارة عقب ذلك مرتين، ثم صار كاشفاً للوجه البحري، وتلقب بملك الأمراء، مات سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م. المقريزي: السلوك ٦/ ١٦٨، ابن حجر: إنباء الغمر ٤/ ١٢، ١٣، ٢٩ ، ٣٣، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ٣٢٠/٧ – ٣٢٢.

(١) أمير مائة مقدم ألف: وظيفة من أعلى المراتب بعد الأتابك في الجيش المملوكي، ومنها يكون أكابر أرباب الوظائف والنواب، ولصاحب هذه الدرجة الرئاسة على مائة فارس وألف مملوك، وهي قاصرة على المماليك وحدهم، ويكون تقلدهم من قبل السلطان. القلقشندي: صبح الأعشى ٤/ ١٤، البقلي: التعريف ص٤٢ ، دهمان: معجم الألفاظ ص٢٢ .

(٢) المقريزي: درر العقود ٥٤٤،٥٤٣/٣، ابن حجر: إنباء الغمر ١٣٣/٦ ،١٣٥، الصيرفي: نزهة النفوس ١٩/٢ ، ٣٢ ، السخاوي: الضوء اللامع ٢٨٩/١٠.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى ٤ / ٢١، المقريزي: المواعظ ٣ / ٣٨٧، السحماوي (شمس الدين محمد ت ٨٦٨هـ / ١٤٦٤م): الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم ، المعروف باسم المقصد الرفيع المنشا الهادي لديوان الإنشاء للخالدي ٤٠١/١، دراسة وتحقيق د/ أشرف محمد أنس، مراجعة د/ حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، د ط، ٢٠٠٩م/١٤٣٠م، مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص ٢٧ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط ١ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

(٤) ديوان المفرد: أحدثه السلطان برقوق فى سلطنته سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٥م، للإشراف على الأراضي الإقطاعية التي تمول رواتب ومخصصات المماليك السلطانية، وأفرد له بلاداً وأقام له مباشرين، وجعل الإشراف عليه لأستاداره الكبير، وكان هذا الديوان مختصاً بنفقة مماليكه ورواتبهم وعليق دوابهم وكسوتهم. القلقشندي: صبح الأعشى ٣ / ٥٢٤، العمايرة: المعجم العسكري المملوكي ص١٣١، ١٣٢ .

(٥) المقريزي : المواعظ ٣ / ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، السحماوي: الثغر الباسم ص ٤٠١ .

ومما زاد من أهمية وظيفة الأستادارية ومهام صاحبها حينئذ، قوة شخصية بعض من تولاها كجمال الدين محمود [١]، الذى ناط به السلطان الإشراف على الموارد المالية للسلطنة، فصار يتصرف فيما كان يختص فيه الوزير من قبل، فيشرف على الشؤون المالية لسلطانه، بينما الوزير وناظر الخاص [٢] يترددان إلي بابه ولا يمضيان أمرا من مهامهما إلا بعد أخذ رأيه، فعظمت من يومئذ مكانة الأستادار وهوت مكانة الوزارة [٣] حتى صار صاحبها ككاتب كبير يتردد إلى باب الأستادار، ولا يتصرف في شيء من أموره إلا بأمره ونهيه [٤] ،ثم زادت مكانة وصلاحيات الأستادار في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق بعد أن أضيفت إلى مهامه نيابة الوجه البحرى[٥]، وأصبح من اختصاصه التصرف في أموال القطر المصري، والإشراف على الدواوين السلطانية، ومتابعة عمل ولاة النواحى المختلفة في الدولة

(١) جمال الدين محمود بن على بن أصفر عينه السودوني، عمل لدى بعض الأمراء، وصلحت أحواله فتولى شد الدواوين بالقاهرة، فظهرت منه نجابة ويقظة، وترقى فى الوظائف حتى ولى الأستادارية للسلطان برقوق، ثم عينه مشيرا، وقبض عليه يَلْبُغَا الناصري لما دخل مصر، وأعاده برقوق للأستادارية بعد عودته لسلطنة الثانية سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م، وجمع من الأموال ما يفوق الحصر، وظل على وظيفته حتى نُكب بسبب وشاية ابن غراب به، فعاقبه السلطان برقوق وصادر أمواله، ومات تحت العقوبة سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦م . ابن حجر: الدرر الكامنة ٦ / ٨٧ ، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢ / ١٥٦ ، ١٦٠ .

(٢) ناظر الخاص: هو الذي يرأس الديوان الذي أحدثه الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٠ هـ/١٣١٠م، ومهام صاحبه النظر فى خاصة أموال السلطان، والتحدث فى الجهات والبلدان التي يُحصل منها، ويحمل جميعه إلى خزانة الخاص، وصار ناظر الخاص كالوزير لقربه من السلطان، ولمنحه سلطات الوزارة حين تعطيلها.القلقشندى: صبح الأعشى ٤/٣٠، البقلى: التعريف ص ١٤٥، ١٤٦.

(٣) الوزارة: من أجل الوظائف وأرفعها رتبة في الحقيقة، لو لم تخرج عن موضوعها، ويعدل بها عن قاعدتها، وصاحبها ثاني السلطان لو أنصف وعرف حقه، ولكنها تأخرت في مكانتها تلك بعد استحداث منصب نيابة السلطنة، حتى صار الوزير كناظر المال لا يتحدث في غيره، ولا يُمنح أي سلطات لا في ولاية ولا عزل، وألغاها الناصر محمد بن قلاوون، وعادت بعد وفاته، وظلت تالية لنيابة السلطنة. القلقشندي: صبح الأعشى ٤/ ٢٨ ، ٢٩ .

(٤) المقريزي : المواعظ ٣ / ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٤٠.

(٥) نائب الوجه البحري: وظيفة استحدثت في عهد الظاهر برقوق، ورتبتة صاحبها أمير مائة مقدم ألف، ومقره في مدينة دمنهور بالبحيرة، ويتحدث صاحبها على جميع أقاليم الوجه البحري، وهي ليست على قاعدة غيرها من النيابات، بل هي ولاية حرب كبيرة، وكان القائم بشؤون هذه الوظيفة من قبل يسمى كاشفاً ويلقب بوالي الولاة، ولم يكن له مقر مخصوص. القلقشندي: صبح الأعشى ٤/ ٢٥ ، السحماوي : الثغر الباسم ص ٤٠٢ .

وأرباب الوظائف[١]،

وكيفما كان الأمر حول مهام الأستادار وصلاحياته فقد كان يَلْبُغَا السّالميُّ عند حسن ظن السلطان وكبار الأمراء به حين قلّدوه الأستادارية، فقد سار سيرة حسنة من العفة والعدل، وأبطل مظالم [٢] كثيرة ومكوساً [٣] عديدة [٤]، ونهض بشؤون عمله نهوضاً حسناً، ومن ذلك حينما كلفه السلطان فرج بعد ترشيده وانفراده بشؤون الحكم بإعداد النفقة [٥] [٥] على المماليك قبل خروجهم معهم لقتال نائب الشام المتمرد تنم [٦] الحسني في رجب سنة ٨٠٢هـ/فبراير ١٤٠٠م، فقام يَلْبُغَا بالمهمة خير قيام، وأنفق عليهم بصورة راقت للسلطان فخلع عليه، وعهد إليه بمواصلة تحصيل الأموال اللازمة لمواصلة العمليات العسكرية في بلاد الشام، فاجتهد يَلْبُغَا في تحصيلها، وأرسلها إلى السلطان بعد وصوله إلى دمشق، كما خرج يَلْبُغَا بنفسه بعد ذلك إلى قطيا [٧] لإعداد الإقامات [١] السلطانية اللازمة

---

(١) المقريزي : المواعظ ٣ / ٣٨٧ ، ٣٩٠، السحماوي : الثغر الباسم ص ٤٠١ .

(٢) سيتم الحديث عن هذه الجهود في المبحث

(٣) المكوس: جمع مكس وهي ضريبة تُفرض على الإنتاج، وعلى السلع الواردة والصادرة الموجودة في المواني، وكانت المكوس في عهد المماليك تفرض على كل العقارات والأملاك والدواب وغير ذلك، و كان لها مستوفى يتخذ من ساحل مصر القديمة وبولاق مقراً له لجبايتها، وأعوان له في كل مكان لجباية المفروض منها، وكانت هذه المكوس تدر دخلاً كبيراً لخزانة الدولة المملوكية، وهذه الضريبة لم تكن شرعية ولا سند لها من نصوص الشرع، لذلك ألغاها بعض سلاطين المماليك. البقلي: التعريف ص ٣٢٥ .

(٤) المقريزي: درر العقود ٣/٥٤٤،٥٤٣، ابن حجر: إنباء الغمر ٦/١٣٣، ١٣٥.

(٥) نفقة الحرب: نفقة نقدية تصرف لأفراد الجيش وقت الحرب، يتجهز بها المشاركون قبل خروجهم للقتال، وتسمى نفقة السفر أو التجريدة. محمد العمايرة :المعجم العسكري المملوكي ص ٣٢٥.

(٦) تنم الحسني الظاهري برقوق، تنقل في خدمة أستاذه إلى أن ولاه نيابة دمشق بعد وفاة كمبشغا الخاصكي، ثم خرج بأمر من برقوق إلى سيواس لنجدة أميرها برهان الدين السيواسي سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٥م، ولما مات الظاهر برقوق خرج تنم على طاعة ولده فرج، وانضم إليه بعض نواب الشام، وهمّ بمهاجمه مصر سنة ٨٠٢هـ/١٤٠٠م، فخرج إليه السلطان فرج وهزمهم وقبض عليهم، وقتل تنم الحسني في بلاد الشام في شعبان من السنة ذاتها ٨٠٢هـ/مارس١٤٠٠م. السخاوي الضوء اللامع ٣/٤٤.

(٧) قطيا: قرية من أعمال الشرقية بالرمل المعروف المعروف بالجفار على طريق الشام، بالقرب من ساحل البحر الرومي بالقرب من الفرما، ولا يستطيع أحد الدخول إلى مصر أو الخروج إلى الشام إلا منها، ولذلك جعلت لأخذ الموجبات وحفظ الطرق، ومنها يطالع بكل صادر وارد إلى البلاد، وبها تؤخذ المكوس من التجار الواردين إلى مصر والصادرين عنها. القلقشندي: صبح الأعشى ٣ / ٤٦٠ ، ١٤/ ٤٢٣، محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة

اللازمة ترقباً لعودة السلطان منتصراً من بلاد الشام [٢].

ظل يَلْبُغَا السَّالميُّ يحظى بمكانة مرموقة لدى السلطان فرج بن برقوق، ولا أدل على ذلك من أنه جعله واحداً من أربعة أمراء مقدمين، يتولون شؤون البلاد لما عزم السلطان على الخروج لقتال تيمورلنك[٣] في ربيع الآخر سنة ٨٠٣هـ/نوفمبر ١٤٠٠م، بعد اجتياحه لجل بلاد الشام، ووصوله إلى دمشق، وشارك يَلْبُغَا في هذه المهمة الأمير تمراز[٤] الناصري نائباً للغيبة [٥]، والأمير جكم[٦]

١٩٤٥م، القسم الأول ص٣٥٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ، ١٩٩٤م .

(١) الإقامات: وهي ما يلزم الجيش من مؤونة وعلف وخيام ولوازمها أثناء التجهز للخروج للقتال أو العودة منه.العمايرة : المعجم العسكري المملوكي ص ٣٠.

(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٨٤/٤، ٩٥، المقريزي: السلوك ٢٠،٢٨/٦، ابن إياس(محمد بن أحمد الحنفي ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور الجزء الأول القسم الثانى ص ٥٧٣،٥٨٣ ، حققه وكتب له المقدمة والفهارس د/ محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٣) تيمورلنك: ولد سنة ٧٢٨ هـ/١٣٢٨م، وكان في بداية أمره من أتباع طقتمش خان آخر الملوك من ذرية جنكيزخان، فلما مات استقر أتابكًا لابنه محمود ثم تغلب عليه، واستولى على بلاد المشرق وبغداد، واتصلت مملكته بالجزيرة وديار بكر، فهبَّ السلطان برقوق لقتاله، فغادر بلاد العراق وعاد إلى بلاد المشرق، ولما توفى برقوق عاد تيمورلنك واسترد بغداد، وأنزل ضرباته ببلاد الشام سنة ٨٠٣ هـ/١٤٠٠م، ثم عاد إلى بلاده فتوفى أثناء زحفه لفتح الصين سنة ٨٠٧ هـ/١٤٠٤م. ابن حجر: إنباء الغمر ٢٣١/٥- ٢٣٥، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٠٣/٤-١١٠، السخاوي: الضوء اللامع ٤٦/٣ – ٥٠ .

(٤) تمراز الناصري: كان من خواص أستاذه برقوق، الذي جعله أمير طبلخاناه ثم أمير أربعين، وترقى في عهد ولده الناصر فرج، حتى تولى تقدمة ألف سنة ٨٠٢هـ /١٤٠٠م، ثم صار أمير مجلس ، وتولى نيابة الغيبة لما خرج فرج لقتال تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م، ثم تولى نيابة السلطنة سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، ونيابة الغيبة سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م، ثم خرج على السلطان فرج فقبض عليه وسجنه في دمياط ثم نقله إلى الأسكندرية، ومات خنقا فيها سنة ٨١٤هـ/١٤١١م. ابن حجر: إنباء الغمر٧/ ٢١، السخاوي: الضوء ٣ / ٣٨.

(٥) نائب الغيبة: هو من كبار أمراء المئات، ورتبته أقل من رتبة النائب الكافل، ويتولى الحكم نيابة عن السلطان في حال غيبته عن مقر سلطنته لحرب أو غيرها، ومهمته إخماد الثورات واستخلاص الحقوق، فإذا عاد السلطان انعزل نائب الغيبة فوراً. السحماوي: الثغر الباسم ٦٩٠/٢، العمايرة: المعجم العسكري ص ٣٣٦.

(٦) جكم العوضي: أحد مماليك الظاهر برقوق، ترقى فى الوظائف حتى صار أمير طبلخاناة ثم رأس نوبة، وفى سلطنة الناصر فرج دار الصراع بينه وبين الأمير يشبك الذي تولى الدوادارية مكانه، ثم غضب عليه السلطان فرج فنفاه إلى بلاد الشام وحبسه ثم أطلق سراحه، فاستولى على حلب وأعلن العصيان، فخرج الناصر لقتاله هو ومن معه، فانتصر جكم

العوضي ليحكم بين الناس في القاهرة، والأمير مبارك [١] شاه الحاجب [٢] الثاني [٣].

لم يكتف يَلْبُغَا السّالميُّ بهذه المكانة التي منحها له السلطان فحسب، بل أعلن فور عودته من وداع السلطان في الريدانية [٤] وهو في طريقه إلى الشام، أنه منحه مرسوما يعطيه صلاحيات واسعة ليحكم بين الناس في الأمور الشرعية، ويشرف على قضاة المذاهب الأربعة، وعلى كل من يتولى أمراً أو وظيفة في الديار المصرية، وأكد قضاة الشرع صحة هذا المرسوم، فبادر يَلْبُغَا وجعل عنده نقباء للقضاة، وتصدى للنظر في الأحكام الشرعية، وشرع في الكتابة على القصص [٥] المعروضة عليه كما يفعل القضاة، وسمع للدعاوى المقامة بين الزوجين ومن أرباب الديون، وألزم هؤلاء بالتجاوز عن بعض ديونهم نحو معسريهم، ومن أبى ضُرب وعُذر[٦].

لم يقنع يَلْبُغَا السّالميُّ بكل هذه الصلاحيات التي منحها له السلطان في المرسوم السالف ذكره، بل أراد الاستحواذ على مزيد منها في الأمور الشرعية، فانتهز فرصة موت القاضي الحنفي جمال[٧] الدين

واستولى على دمشق وحماة سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م، وأعلن نفسه سلطاناً، وخرج لقتال قرايلوك التركماني، فقُتل سنة ٨٠٩ هـ/١٤٠٦م. السخاوي: الضوء اللامع ٣ /٧٦.

(١) مبارك شاه الظاهري، كان في خدمة برقوق لما كان جندياً، فلما تأمر برقوق رقاه، وما زال يترقى في المناصب في سلطنة برقوق، ولما تسلطن ولده فرج تولى كشف الوجه القبلي ثم الوزارة والحجوبية ثم الأستادارية، مات سنة ٨١٦ هـ/١٤١٣م. المقريزي:السلوك ٦/ ١٦٠، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ٩ /١٩٢.

(٢) الحاجب الثاني: أو حاجب الميسرة من أمراء الطبلخاناه، وهو الذي يعاون حاجب الحجاب.العمايرة: القاموس العسكري المملوكي ص ٩٩.

(٣) الصيرفي: نزهة النفوس ٢/٧٨، ٧٩، ابن إياس: بدائع الزهور جـ ١ ق ٢ ص ٦٥٢.

(٤) الريدانية: قرية كانت تقع على الطريق بين بركة الحاج والقاهرة وهي العباسية اليوم.

(٥) القصص: جمع قصة، وهي الطلب أو الالتماس، ويرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى السلطان عن طريق موظف خاص اسمه قصة دار، وقد تكون القصة خاصة بطلب تجديد إقطاع انتهى عقده، أو بارتجاع إقطاع انتقل عن صاحبه لسبب من الأسباب، وفي مثل هذه الحالات تُعرض القصص على ناظر الجهة المختصة قبل عرضها على السلطان. البقلي: التعريف ص ٢٧٤ .

(٦) المقريزي: درر العقود ٣/٥٤٦، ابن حجر: إنباء الغمر٤/٢٢٥، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٢/١٧٦، الصيرفي: نزهة النفوس ٢/٩٥.

(٧) جمال الدين الملطي: يوسف بن موسى بن محمد الحلبي، ولد بخرت برت سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م، ونشأ بملطية ثم سكن حلب، واشتغل بالتحصيل في حلب حتى مهر في الفقه، وزار الشام ومصر وأخذ عن فضلائهما علوماً شتى، سمع الحديث من معاصريه، وعاد إلى حلب يفتي ويدرس ويقرئ، ولما مات القاضي الحنفي في مصر شمس الدين الطرابلسي استدعاه السلطان برقوق سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٨م، وولاه

الملطي في ربيع الآخر سنة ٨٠٣هـ/نوفمبر ١٤٠٠م، وأرسل إلى السلطان في بلاد الشام يستأذنه في النظر في الأحكام الشرعية على المذهب الحنفي خلفاً للملطي، فأذن له، فأقام يَلْبُغَا له نقيباً كنقيب القضاة، وحكم بين الناس في قضايا المذهب الحنفي(١).

لم يلق المرسوم السالف ذكره قبولاً من الأمير تمراز الناصري، نظراً لمنحه صلاحيات كبيرة ليَلْبُغَا السّالميِّ في أمور قد تتعارض مع مهامه كنائب للغيبة، وهذا ما حدث على أرض الواقع حينما نصب الأمير تمراز منكلي بغا (٢) – مملوك مبارك شاه – والياً على البهنسا (٣) في ربيع الآخر سنة ٨٠٣هـ/ نوفمبر ١٤٠٠م، ولما حضر هذا الوالي عند يَلْبُغَا السّالميِّ نزع عنه الخلعة (٤) وضربه، بحجة أنه تولى من غيره عملاً هو المنوط به بموجب مرسوم السلطان، ولما بلغ الأمير تمراز هذا الأمر غضب، وتدخل بعض الأمراء لرأب الصدع بين الأميرين، للحيلولة دون تفاقم الأزمة، مما دفع يَلْبُغَا للتراجع عن موقفه لتجاوز الأمر، فخلع على منكلي بغا وأذن له في السفر لولايته، بيد أن الأمير تمراز لم يقنع بذلك وعَدّ الواقعة إهانه له(٥) .

تصاعدت وتيرة العداء بين الأميرين يَلْبُغَا السّالميِّ وتمراز الناصري بعد الواقعة السالف ذكرها، حيث عَدّها الأخير تجاوزاً من جانب السّالميِّ في حقه، واعتداءً على صلاحياته

قضاء الحنفية، توفي سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م. ابن حجر: إنباء الغمر٤/ ٣٤٦- ٣٥٠، ذيل الدرر الكامنة ص ١١٥،١١٦، تحقيق د/ عدنان درويش، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، دط، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م

(١) المقريزي: السلوك ٦/ ٤٨، ابن إياس: بدائع الزهور جـ ١ ق ٢ ص٦٠٣ ، ٦٠٧.

(٢) منكلي بغا الظاهري، أحد مماليك السلطان برقوق، اشتغل بالتحصيل كثيراً، وكتب الخط الحسن، وكان له اهتمام بشئ من الفقه، أرسله الناصر فرج إلى تيمورلنك رسولاً سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٣م، وولي حسبة القاهرة في سلطنة المؤيد وتشدد في التضييق على النساء في ملابسهن، ثم عُزل واستقر من جملة الحجاب، مات بعد مرض طويل سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م. ابن حجر: إنباء الغمر ٨/٢٩٤، ٢٩٥، السخاوي: الضوء اللامع ١٠/١٧٣.

(٣) البهنسا: مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل ليست على ضفافه، وتضاف إليها كورة كبيرة.ياقوت: معجم البلدان١/٥١٦، ٥١٧، المقريزي: المواعظ والأعتبار ١ / ٤٨٣ .

(٤) الخلعة: هى ما يخلعه السلطان من الثياب الفاخرة على أكابر الدولة والأمراء والمقربين إليه ممن أدوا إلى الدولة خدمات متميزة، وهى في الأغلب لباس مؤلف من جبة مطرزة وعمامة وسيف، وكان لها أهمية خاصة في العصر المملوكي، لأنها تعني تعيين المخلوع عليه في منصبه وتثبيته فيه، وكانت تُهدى للأمراء وغيرهم في المناسبات المختلفة، وتكون تعبيراً عن رضا السلطان وثقته لمن تمنح له. القلقشندي: صبح الأعشى ٤/١٨٩، ١٩٠، الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص ١٦٥.

(٥) المقريزي: السلوك ٦/٤٦، ابن حجر: إنباء الغمر ٤/٢٢٥، ابن إياس: بدائع الزهور جـ ١ ق ٢ ص٦٠٤.

كنائب للغيبة، مما أدى إلى تصاعد نذر الصدام بينهما، خاصة حينما شرع كلاهما في نقض كل ما يفعله الآخر، بل والكتابة إلى السلطان في حق صاحبه، مما ترتب عليه حدوث ضرر للناس من جراء هذا التناقض والخلاف في قرراتهما، وهو ما حدا بالسلطان فرج- وهو في بلاد الشام - إلى حسم النزاع بين الأميرين، فأرسل كتاباً في جمادى الأولى سنة ٨٠٣هـ/ديسمبر ١٤٠٠م، بمنع السّالميُّ من النظر في الأحكام الشرعية، وما يتعلق بشؤون الأمراء والحجاب، واقتصار صلاحياته على شؤون الأستادارية وديوانه المفرد، وأن المتصرف فيما سبق ذكره هو الأمير تمراز نائب الغيبة، الذي تنفس الصعداء من وصول هذا المرسوم الذي أنصفه، فأمر بالمناداة في شوارع مصر والقاهرة بمنع السّالميُّ من النظر في الأحكام الشرعية، ومن رفع إليه قصة للنظر فيها ضُرب، ومن كانت له عليه شكوى أو مظلمة فعليه بالأمير تمراز [١].

لم يكتف الأمير تمراز بهذا فحسب، بل انتهز فرصة غياب السّالميُّ في بلبيس [٢] للقيام ببعض مهام الأستادارية، وأرسل مجموعة من مماليكه هجمت على بيت غريمه، وأطلقت من كان فيه محبوساً من الرعية، وصرفوا نواب القضاة منه، كما أمر الأمير تمراز شمس الدين البرقي [٣] الحنفي - أحد موقعي قضاة القاضي الحنفي - وبعض نواب القضاة، بكتابة محضر بمطاعن في حق السّالميُّ ، وما هو فيه من سوء تصرف في الأمور، ولما عاد الرجل في نهاية جمادى الأولى سنة ٨٠٣هـ/يناير ١٤٠١م، وعلم بما حدث في غيبته، استاء مما فعله الأمير تمراز، وكاد أن ينشب النزاع بين الأميرين، لولا أن تدخل بعض الأمراء بينهما بالصلح، للحيلولة دون تصاعد وتيرة الخلاف، وهو ما يضر بمصالح الدولة والرعية في ظل غيبة السلطان، مما دفع الأميرين لتجاوز الواقعة، وإن ظلت العداوة بينهما قائمة، وهو ما دفع السّالميُّ لاستدعاء الشيخ البرقي - الذي كتب فيه المحضر السالف ذكره -، والأمر بضربه وتشهيره، عقاباً له على ما بدر منه في

(١) المقريزي: درر العقود ٥٤٦/٣، السلوك٤٨/٦ ، ٤٩، الصيرفي: نزهة النفوس ٩٥/٢، ابن إياس: بدائع الزهور جـ ١ ق ٢ ص٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨.

(٢) بلبيس: مدينة تقع على طريق الشام بين الفسطاط والرملة في فلسطين، يفصلها عن الفسطاط أربعة وعشرون ميلاً، كانت في العصر المملوكي قاعدة الحوف الشرقي (إقليم الشرقية).ياقوت: معجم البلدان١/ ٤٧٩ ، محمد رمزي: القاموس الجغرافي القسم الثاني ، الجزء الأول ص١٠٠، ١٠١ .

(٣) شمس الدين البرقي: محمد بن محمد بن حسين المخزومي شمس الدين الحنفي، كان مشهورا بمعرفة الأحكام مع قلة الدين وكثرة التهتك، باشر عدة أنظار وتداريس، مات في سنة ٨٢٣ هـ/١٤٢٠م .ابن حجر: إنباء الغمر ٤٠٠/٧. السخاوي: الضوء اللامع ٧٨/٩، ٧٩.

حقه [١].

كما قام يَلْبُغَا السَّالميُّ أيضاً باستدعاء محمد بن ليلى[٢] الذي ولاه الأمير تمراز ولاية مصر [٣]، فنزع عنه الخلعة وضربه وشهره، وهو يُنادي عليه هذا جزاء من يلي وظيفة من عند غير الأستادار، ولم يسع الرجل إلا اللجوء إلى الأمير تمراز، الذي اشتد غضبه على السَّالميُّ ، وعزم على الخروج بمماليكه لقتاله، لولا أن حال الأمير جكم العوضي بينه وبين ذلك دفعاً للفتنة، فانصاع الأمير تمراز لذلك مكرهاً، وإن كانت نذر الصدام بين الأميرين يَلْبُغَا السَّالميُّ وتمراز الناصري صارت قاب قوسين أو أدنى، ولم ينزع فتيلها سوى وصول الأخبار إلى القاهرة في مستهل جمادى الآخرة سنة ٨٠٣هـ/ يناير ١٤٠١م، بقرب عودة السلطان من بلاد الشام بعد فشله في التصدي لتيمورلنك[٤].

أسرع يَلْبُغَا السَّالميُّ بالخروج إلى الريدانية، لاستقبال السلطان المنهزم وفلوله، ومعه ما يحتاجه من المؤن والأموال، وما إن استقرت أقدام السلطان فرج بن برقوق في القلعة [٥]، حتى شرع في الاستعداد لمواجهة الغزو المرتقب لتيمورلنك، الذي شاع بين الناس عزمه على اجتياح مصر بعد استيلائه على بلاد الشام كافة، فمنح السلطان يَلْبُغَا السَّالميُّ أستادار العالية سلطات واسعة ليتكلم في كافة شؤون السلطنة، ويجمع الأموال ويعد القوات اللازمة للعودة إلى بلاد الشام لمحاربة تيمورلنك قبل وصوله إلى مصر، وذلك في جمادى الآخرة سنة ٨٠٣هـ/ يناير ١٤٠١م، فنهض يَلْبُغَا للقيام بما كُلف به، وأظهر من القوة والحماسة ما يشي بقدرته على ذلك، وأخذ في فرض الجبايات وجمع الأموال من

(١) المقريزي: السلوك٦/ ٤٩، ابن حجر: إنباء الغمر٤/٢٢٥، الصيرفي: نزهة النفوس ٢/٩٦، ابن إياس: بدائع الزهور جـ ١ ق ٢ ص ٦٠٨.

(٢)محمد بن ليلى، تولى ولاية القاهرة ثم الجيزة سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م، ونقابة الجيش سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م، ثم ولاية مصر سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م، وسنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م. المقريزي: السلوك٥/٢٤٦،٢٦٨، ٦/٤٩، ٧٩.

(٣) والي مصر: يلقب بوالي الفسطاط، وهو أحد ولاة الشرطة المعروفين في الديار المصرية، ويحكم في خاصة مصر على نظير ما يحكم والي القاهرة في بلده، ورتبته عادة إمرة عشرة، القلقشندي: صبح الأعشى ٤/ ٢٤

(٤) المقريزي: السلوك٦/ ٤٩، ابن إياس: بدائع الزهور جـ ١ ق ٢ ص ٦٠٨.

(٥) قلعة الجبل: تقع بين ظاهر القاهرة وجبل المقطم والفسطاط على قمة جبل المقطم، بناها الطواشي بهاء الدين قراقوش؛ لتكون مقراً للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، الذي أرادها أن تكون حصناً منيعاً له ؛ يعتصم فيه من أعدائه شيعة الفاطميين، ولكن القدر لم يمهله ليسكن فيها، فكان أول من استقر بها الملك الكامل محمد بن العادل، وصارت من يومئذ مستقراً لحكام مصر من الأيوبيين، ثم المماليك الذين زادوا في عمارتها مع مرور الأيام. القلقشندي: صبح الأعشى ٣/ ٤٢١ ، ٤٢٢، المقريزي: المواعظ ٣/ ٣٥١ ، ٣٥٢ .

الكافة، مما دفعه لاتخاذ إجراءات قاسية تمثلت فيما يلي [١].

١ – فرض يَلْبُغَا على كافة بلاد السلطان وإقطاعات [٢] الأمراء وأخباز [٣] الأجناد وبلاد الأوقاف عن كل ما قيمته ألف دينار من الأرض خمسمائة درهم ثمناً لفرس.

٢ – جبى يَلْبُغَا أجرة شهر كامل عن كل أملاك مصر والقاهرة وظواهرهما، وتشدد في الأمر حتى كان ينزل بنفسه هو وأعوانه على ساكني الدور ويحصل أجرتها.

٣ – فرض يَلْبُغَا أموالاً على أراضي الرزق [٤] الأحباسية، عن كل فدان ما بين عشرة دراهم وحتى مائه بحسب نوع محصوله.

٤– استدعى السّالميُّ أمناء الحكم على الأيتام، والتجار وكل من لديه مال أو ثروات، وطلب منهم مالاً على سبيل القرض لدعم العمل العسكري .

٥ – تعقب يَلْبُغَا ليلاً الفنادق وحواصل الأموال في مصر والقاهرة، والتي كانت حينئذ عامرة، وقاسم أصاحبها، وفعل نظير ذلك في حواصل الجوامع والمدارس والخوانق وغيرها.

٦ – ألزم يَلْبُغَا أصحاب الغلال المعدة للبيع في المراكب النيلية بدفع درهم عن كل أردب، ودفع مائة درهم عن كل مركب من مراكب النزهة في النيل .

---

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخه ١٦٩/٤، ١٧٨، المقريزي: السلوك ٦/ ٥٥، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٧٦/١٢.

(٢) الإقطاعات: جمع إقطاع، وهو ما يقطعه السلطان لأهل الجيش من الأمراء، مقابل ما هو مقرر لهم من أرزاق تصرف لهم لحمايتهم للبلاد، ويكون من أرض أو غيرها من أي نوع من أنواع المال الثابت أو المنقول، وهو تمليك للمنفعة لا للرقبة، وهو أمر شخصي بحت، لا دخل لحقوق الملكية أو لأحكام الوراثة فيه، فكان المُقطع يحل في الإقطاع محل السلطان؛ ليتمتع بغلاته وإيراداته فحسب، ثم يؤول جميعه إلى السلطان بمجرد انتهاء مدة الإقطاع المتفق عليها، ويختلف مقدار الإقطاع بحسب مكانة الأمير أو الجندي. البقلي: التعريف ص٣٧، السيد الباز العريني: المماليك ص ١٦٨–١٧١، دار النهضة العربية، بيروت، دط، ١٩٧٩م، محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية ص ٦١، دار الشروق، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م.

(٣) أخباز الأجناد: المقصود بها الإقطاع من الأراضي، أو ما يتحصل عليه الجندي من عطاء نقدي أو عيني، وما يكفيه ويكفي الجنود الذين معه. العمايرة: المعجم العسكري المملوكي ص ١٢٢.

(٤) الرزق:وهي الأراضي والأطيان التي كان يعطيها الخلفاء والسلاطين بمقتضى حجج شرعية إلى بعض الناس على سبيل الإحسان رزقة بغير مال، ومنها ما هو موقوف صرف ريعه على المساجد والخوانق والربط، للقيام بمصالحها والوفاء بمتطلباتها، ومنه غير الموقوف فيصرف ريعه إلى مستحقيه وينحل بموت أصحابه. سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي فى مصر والشام ص ٤٢٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٣ ، ١٩٩٤ م .

٧ – ألزم يَلْبُغَا السَّالميُّ من كان قادراً من أجناد الحلقة [١] بالخروج بنفسه إلى بلاد الشام للقتال، ومن كان عاجزاً عن الخروج أجبره على إحضار بديل عنه، أو دفع نصف متحصل إقطاعة السنوي، كما تولى يَلْبُغَا الإنفاق على العربان في مصر لتشجيعهم على الخروج لقتال تيمورلنك [٢].

ترتب على هذه الإجراءات المالية القاسية التي قام بها يَلْبُغَا السَّالميُّ في فرض الجبايات على الناس كافة، والشدة في جمعها لإعداد القوات لمحاربة تيمورلنك نتائج وخيمة، تمثلت في حدوث جفوة بين يَلْبُغَا وكافة الأمراء، الذين احتد عليهم الرجل في جمع الأموال منهم وترك مداراتهم، فأبغضوه ونفروا منه، وترصدوا لنكبته والإيقاع به عند السلطان، ناهيك عن الظلم الذي حلّ بغيرهم من العوام، فنفرت من يَلْبُغَا القلوب، وكثُر دعاء الناس عليه، لشدة ما نزل بهم من الكرب والظلم في فرض الجبايات، وشده انتزاعها منهم [٣].

وبعد هذا الاستعراض للإجراءات القاسية التي قام بها يَلْبُغَا السَّالميُّ لجمع الأموال لإعداد القوات اللازمة لقتال تيمورلنك، يتبادر إلى الذهن سؤال مهم، وهو كيف تحول يَلْبُغَا من ذلك الشخص الحريص على الرفق بالرعية حينما خفف عن كواهلهم قبل سنتين– عند ولايته للأستادارية سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م– جملة من المكوس الجائرة[٤]، كيف تحول إلى ذلك الشخص القاسي الذي اتخذ من الإجراءات المالية القاسية ما جعل البلاد تمور موراً ؟، ولم ينج من أفعاله أحد، حتى ساد السخط والغضب منه الناس كافة.

وللإجابة عن هذا السؤال أقول : إن الرجل كان مؤمناً بالقضية التي عهد له السلطان بها، وهي جمع الأموال اللازمة لإعداد القوات الكافية لقتال تيمورلنك، مهما كلّفه ذلك من اتخاذ إجراءات قاسية ضد الناس كافة، واعتبر يَلْبُغَا أن هذا كله لا يقارن بعظم المهمة المرتجاة، وهي حماية البلاد من ذلك العدو

(١) أجناد الحلقة: هم الجنود المرتزقة من غير مماليك السلطان أو مماليك الأمراء، ويشكلون الفئة الثالثة في الجيش المملوكي، يأتمرون بأمر السلطان المتغلب دون أن يكون ملكاً عليهم، وهو ما يفرقهم عن المماليك السلطانية الذين يشتريهم السلطان، ويكونون ملكاً له، وعن مماليك الأمراء الذين كانوا ينشئونهم، وأجناد الحلقة يقدم عليهم قائد منهم ليس له الإمرة عليهم إلا إذا خرجوا للحرب. القلقشندي: صبح الأعشى ٤/ ١٦، العمايرة: المعجم العسكري ص ١٧ الخطيب: معجم المصطلحات ص ١٩.

(٢) ابن قاضي شهبة : تاريخه ١٧٨/٤، ١٧٩، المقريزي: السلوك ٥٥/٦ –٥٧، درر العقود ٥٤٦/٣ ، ابن حجر: إنباء الغمر٢١٠/٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٤٨/١٢ –٢٥١.

(٣) ابن قاضي شهبة:تاريخه ١٧٨/٤، المقريزي: درر العقود ٥٤٦،٥٤٧/٣، ابن حجر: إنباء الغمر١٣٥/٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٤٨/١٢ .

(٤) سيتناول الباحث ذلك بالتفصيل في المبحث الثاني.

الغادر المتربص بها، والذي قد يغزوها بين عشية أو ضحاها، خاصة بعد أن دانت له بلاد الشام كافة، وفعل بها الأفاعيل، وعجز السلطان عن مواجهته في دمشق، وولّى الأدبار نحو مصر، لذلك عقد يَلْبُغَا العزم على النهوض بما كُلف به، وجعل نصب عينيه هذا الهدف الأسمى، مهما كلفه الأمر من إجراءات قاسية، ومما يدلك على هذا قول ابن تغري بردي [١] عنه في هذا السياق: " عزم يَلْبُغَا على محاربته – تيمورلنك – وأظهر من القوة ما يشبه أنه يفي بذلك" .

وقبل هذا لا ننسى أن السلطان فرج بن برقوق نفسه قد منح يَلْبُغَا سلطات واسعة للقيام بالأمر المنوط به، كما قال المقريزي [٢]: " أذن السلطان للأمير يَلْبُغَا السّالميِّ أن يتحدث في كل ما يتعلق بالمملكة، وأن يجهز عسكراً إلى دمشق لقتال تيمورلنك"، وقبل هذا وذاك وجد يَلْبُغَا في هذه الصلاحيات فرصة لإظهار قدرة السلطان الشاب على إدارة شؤون البلاد، وتحجيم دور الأمراء الذين استبدوا بشؤون السلطنة دونه، لذلك كله شرع يَلْبُغَا في القيام بما قام به، وخاشن الأمراء وعارضهم وألزمهم بما يريده.

وبعد هذا الاستنتاج للدوافع التي جعلت يَلْبُغَا يقوم بهذه الإجراءات المالية القاسية، يجد الباحث نفسه أمام سؤال ثان لامندوحة من طرحه ومحاولة الإجابة عليه، وهو كيف تفتق ذهن يَلْبُغَا عن القيام بهذه الإجراءات لجمع الأموال اللازمة ؟، وكيف واتته الجرأة للقيام بها دون خوف أو تردد ضد الناس كافة، دون النظر لمكانتهم أو نفوذهم في الدولة ؟،أقول للإجابة عن هذا السؤال: إن الرجل كان حاضر الذهن حينما حضر اجتماعا للسلطان مع القضاة قبل خروجه إلى بلاد الشام لقتال تيمورلنك، حيث طُرحت على الحضور مسألة أخذ نصف أموال التجار أو ثلثها للإعانة في تجهيز الجيش، وتحدث القاضي الحنفي جمال الدين الملطي قائلا للحضور من أهل الدولة: إن فعلتم ذلك بأيديكم فالشوكة والسلطان لكم، ولن يعترض عليكم أحد، وإن أردتم ذلك بفتوى من القضاة فلا يجوز لأحد أن يفتي بذلك، لأن العسكر في حاجة لمن يدعو لهم، فلا ينبغي أن يُفعل شيء يستجلب الدعاء عليهم، وانفضَّ المجلس على ذلك، وكانت هذه المقولة من حسنات القاضي الملطي [٣]، الذي نأى بنفسه والقضاة عن التورط في مثل هذه المظالم للرعية، حتى ولو كانت للمساعدة في قتال تيمورلنك .

ولقد وعى يَلْبُغَا السّالميُّ الأستادار هذه المناقشات وما دار في هذا المجلس من آراء، وعلقت بآذانه مقولة القاضي الملطي، فلما عادت القوات المملوكية منهزمة من الشام، وطلب السلطان فرج من يَلْبُغَا جمع الأموال، وإعداد القوات للخروج لقتال تيمورلنك كرة ثانية، حضرت يَلْبُغَا مقولة القاضي الملطي،

(١) المنهل الصافي ١٢/١٧٦.
(٢) السلوك ٦/ ٥٦.
(٣) ابن حجر: إنباء الغمر ٤/١٩١، ١٩٢.

وعمل بما منعهم منه قبل خروج السلطان إلى الشام، من عدم جواز أخذ بعض أموال التجار بفتوى من القضاة، وإمكانية نزعها منهم بقوة السلطة الحاكمة، كما استقوى يَلْبُغَا فيما عزم على فعله بالصلاحيات المطلقة التي منحها له السلطان، وموت القاضي الملطي نفسه، وانقض يَلْبُغَا على الناس كافة بإجراءاته المالية القاسية، خاصة بعد أن غلب على ظن الجميع أن تيمورلنك سيجتاح مصر لا محالة، بعد سقوط الشام بين يديه .

وعلى الرغم من قسوة الإجراءات المالية القاسية التي قام بها السّالميُّ في حق الناس كافة، وفداحة ما نزل بهم من أثرها، إلا أن المؤرخ ابن تغري بردي [١] التمس له عذراً فيها، حيث قارن بين حالة المصريين بعد إجراءات يَلْبُغَا السّالميِّ المالية القاسية ضدهم، وحال إخوانهم الذين فتك بهم تيمورلنك في بلاد الشام بقوله :" وبالجملة فهم أحسن حالاً من أهل دمشق وإن أخذ منهم نصف مالهم، وأيش يعمل السّالميُّ ؟ مسكين وقد ندبه السلطان لإخراج عسكر ثان من الديار المصرية لقتال تيمورلنك " .

لا يساور المرء ريب في أن ابن تغري بردي كان في تعليقه الآنف على ما حدث ينطق بلسان السلطة الحاكمة، فلم يهمه ما نزل بالأهلين في طول البلاد وعرضها من نكبات جراء إجراءات يَلْبُغَا السّالميِّ القاسية، بل التمس له عذراً فيها، بمقارنته لحال المصريين الذين لم تحل عليهم نقمة تيمورلنك، وحال نظرائهم الشاميين الذين سامهم هذا الطاغية من صنوف العذاب ألواناً، وكأن قدر الأهلين في مصر أن يكونوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، ولا يخفي أن قول ابن تغري بردي هذا تشوبه رائحة الانحياز البين للسلطة الحاكمة، ناهيك عن تجاهله التام لآثار هذه الإجراءات والجبايات على حالة المصريين كافة.

وكيفما كان الأمر حول تقييم الإجراءات المالية التي قام بها السّالميُّ ، فقد استمر تصاعد حالة التذمر والسخط والغضب في نفوس الناس بسبب هذه الجبايات، ونقم كبار الأمراء على السّالميِّ هذه الصلاحيات المطلقة التي حازها وتمتع بها دونهم، خاصة وقد كشر الرجل لهم عن أنيابه، فعارضهم، وفرض عليهم من الأعباء المالية الشيء الكثير، وأراد أن يكون للسلطان الشاب تصرف مطلق في أمور الدولة، بعد أن كانوا هم المستبدين بها دونه، لكل هذه الأسباب السالف ذكرها، عزم كبار الأمراء على التخلص من السّالميِّ، الذي أصبح كالغصة في حلوقهم، فسعوا لإغراء السلطان بنكبته لينتزع كل أموال الجبايات منه، كما ظهر للسالمي منافسون جدد على الأستادارية، كالأمير سعد الدين بن غراب [٢] ناظر الخاص

(١) النجوم ١٢/ ٢٤٨.

(٢) ابن غراب: سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب، تولى أبوه نظر الأسكندرية، واستخدمه جمال الدين محمود بن أصفر عينه الأستادار كاتباً له، فمكر به عند السلطان برقوق

والجيش [١]، الذي سعى لنيل هـذه الوظيفـة مستنداً إلى مكانة حليفـه الأميـر يشـبك [٢] الشعباني عند السلطان [٣].

كما أن السلطان فرج بن برقوق وجد أن إجراءات يَلْبُغَا السَّالميِّ المالية القاسية لم تعد ذات جدوى على أرض الواقـع، بعـد أن تواترت الأنباء عن انسحاب تيمورلنـك مـن دمشق، فأراد السلطان طي هذه الصفحة القاتمة من تاريخ البلاد، وأن يقطع عرقاً ويسيل دماً، فأمر في الرابـع عشـر مـن رجـب سـنة ٨٠٣هـ/السابع والعشرين من فبراير ١٤٠١م بالقبض على السَّالميِّ ومساعده في الجبايات الوزير أحمد بن عمر بن قطينة [٤]، فقُـبض

حتي نكبه، وكافأ السلطان ابن غراب فجعله ناظراً للخاص سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٦م، ثم ناظراً للجيش سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م،ثم تولى الأستادارية سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م، وشارك ابن غراب في الحوادث السياسية مع حليفه الأمير يشبك الشعباني، حتى أطاح بالسلطان فرج بن برقوق، ونصب أخاه عبد العزيز، ثم أعاد ابن غراب فرج للسلطنة وصار صاحب النفوذ الأوحد في الدولة، بيد أن المنية لم تسعفه فمات في رمضان سنة ٨٠٨هـ/مارس١٤٠٦م. المقريزي: درر العقود ٩٢/١، ١٠٠، ابن حجر: إنباء الغمر٣٠٩،٣١٠/٥، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٠٤/١ – ١١٢، السخاوي : الضوء اللامع ٦٥/١– ٦٧.

(١) ناظر الجيش: هو المشرف على ديوان الجيش، ويعاونه عدد من الكتاب ومقره فى القلعة، ومهمته تسجيل أسماء الجنود وأعدادهم ونفقتهم، وكل ما يعلق بالجيش من النواحى الإدارية، كما يشرف على الإقطاعات العسكرية بمصر والشام والكشف عنها، ومشاورة السلطان عليها، وأخذ تواقيعه على مراسيمها. القلقشندي: صبح الأعشى ٤/ ٣١، ٥ / ٤٦٥، ٤٦٦، البقلي: التعريف ص ٣٤٢، ٣٤٣. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية ص١٥٠.

(٢) يشبك الشعباني، أحد مماليك الظاهر برقوق، ترقى فى عهده وصار أمير مائة مقدم ألف، ثم صارت له المكانة العالية عند ولده فرج، إذ كان ممن تعهده منذ نعومة أظفاره ورباه، و كان له دور كبير فى ترشيده واستقلاله بالسلطنة سنة ٨٠٢ هـ/ ١٤٠٠م، فجعله أتابكاً ومدبراً للسلطنة، ودخل فى صراعات عسكرية ضد بعض منافسيه من الأمراء شاركه فيها ابن غراب، كما كان ليشبك دور كبير فى إعادة الناصر فرج إلى السلطنة سنة ٨٠٨ هـ/١٤٠٦م، مما جعل السلطان يعيده إلى وظائفه وينصبه أتابكاً، ثم دارت الحوادث والصراعات بين يشبك والسلطان، فقبض عليه وسجنه ثم قتله في بلاد الشام سنة ٨١٠ هـ/ ١٤٠٧م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢ / ٢٩٩، ١٣/ ٤٤، السخاوي: الضوء اللامع ١٠ / ٢٧٨، ٢٧٩ .

(٣) المقريزي: درر العقود ٥٤٦/٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٥١/١٢، المنهل الصافي ١٧٦/١٢، ١٧٧.

(٤) ابن قطينة: أحمد بن عمر شهاب الدين، كان أبوه من العوام، ونشأ ابنه فى خدمة الأمراء، وتنقل فى الوظائف حتى باشر أستادارية بعض الأمراء، وتولى نظر تجارة الكارم فى أيام برقوق، وامتحن كثيراً وتنقل فى الولايات، وخدم عند جمال الدين يوسف البيري ،ثم نال الوزارة سنة ٨٠٢ هـ/١٣٩٩م، واستعفى منها، وتولى عدة وظائف بعدها، حتى مات سنة ٨١٩ هـ/

عليهما وكل الناس لهما عدو، وأمر السلطان بتسليمهما إلى سعد الدين بن غراب – الذي عهد إليه السلطان بالاستادارية– ليستخلص منهما كل الأموال المأخوذة من الناس في الجبايات، وظل السّالميُّ قيد الإهانة والتعذيب حتى انتزعت منه كل الأموال التي جباها من الناس، ولم يُطلق سراحه إلا في الأول من شوال سنة ٨٠٣هـ/الرابع عشر من مايو ١٤٠١م [١].

ولقد زار المؤرخ ابن حجر يَلْبُغَا السّالميُّ بعد إطلاق سراحه، ليهنئه بالخروج سالماً، فوجده مُصَرّاً على جدوى كل ما قام به من إجراءات مالية قاسية، ومدافعاً عن سياسته فيها، ومعللاً بأنه لولا أُشيع عنه تحصيل الأموال وتجهيز العسكر لقتال تيمورلنك، لما رحل المذكور من دمشق، بيد أن هذا لم يلق قبولاً أو استحساناً من ابن حجر، الذي عقب على دعواه الواهية تلك، بأن هذا مجافٍ للحقيقة، فإن رحيل هذا الطاغية عن دمشق إنما كان بسبب قلة الأقوات والمؤن اللازمة لجيشه، وخشيته من الهلاك جوعاً، ولولا ذلك لما كان هناك شيء يردعه عن الزحف نحو مصر وغزوها [٢] .

لم يهنأ يَلْبُغَا السّالميُّ بإطلاق سراحه طويلاً، حيث ظلت ذكرى الأموال التي جباها من الناس تنغص عليه حياته حتى بعد أن انتُزعت منه، فقد كانت ليَلْبُغَا السّالميُّ عداوات متأصلة الجذور في نفوس كثيرين من الناس وعلى رأسهم ابن غراب، الذي كان يحوز حينئذ ثلاثاً من كبريات الوظائف في الدولة، وهي نظري الجيش والخاص والأستادارية، ويتوجس خيفة من يَلْبُغَا السّالميُّ أن يسترد ثقة السلطان فيه ويعود للأستادارية، لذلك مكر ابن غراب بيَلْبُغَا، فأغرى كبار الأمراء به وخوفهم منه، ووعدهم بالأموال التي ما زال يكتنزها، وواتت ابن غراب الفرصة للإجهاز على غريمه حينما طلب السلطان منه النفقة على المماليك في ذي القعدة سنة ٨٠٣هـ/يونية١٤٠١م، فالتزم ابن غراب بحمل مائة ألف دينار، وكلف ثلاثة من الأمراء وهم : ناصر الدين محمد بن سنقر البجكاوي[٣]، وتاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج، ويَلْبُغَا السّالميُّ، بأن يحمل كل واحد منهم مائة ألف دينار، وكان من الطبعي أن يعجز يَلْبُغَا عن الوفاء بما طُلب منه، بعد أن نُزعت منه كل أموال الجبايات آنفاً، لذلك قام ابن غراب بالقبض على يَلْبُغَا وضربه وتعذيبه، وإجباره على الوفاء بنصيبه من مال

١٤١٦م. السخاوي: الضوء اللامع ٢ / ٥٥ .

(١)ابن قاضي شهبة:تاريخه ٤/١٨٥،١٨١، المقريزي: السلوك ٦/٦٠،٥٧، ابن حجر: إنباء الغمر٤/٢٢٩، ٢٣٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٢٥١ ، ٢٥٢، ٢٧٠.

(٢) إنباء الغمر ٤/ ٢٣٠.

(٣) ناصر الدين محمد بن سنقر البجكاوي، تولى الأستادارية في سلطنة برقوق، وأستادارية الذخيرة والأوقاف، ثم جعله برقوق قبل وفاته واحداً من عشرة أوصياء على ولده فرج، مات في حلب سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م. السلوك ٥/ ٤٣٧، ٤٤٢، ٦،٤٤٤/١٨٧.

النفقة، فلم يجد الرجل سبيلاً لذلك إلا ببيع موجوده وقماشه، لعله يفي بما طُلب منه، وتشدد ابن غراب في معاقبته، ولم يفرج عنه إلا بعد أن أُرجف الناس بموته في منتصف ذي القعدة سنة ٨٠٣هـ/ يونية١٤٠١م [١].

لم يكتف السلطان فرج وكبار أمراء الدولة بما حاق بيَلْبُغَا السّالميُّ من العزل والمصادرة والضرب حتى الموت فحسب، بل أمر السلطان في ذي الحجة من السنة ذاتها ٨٠٣هـ/يولية١٤٠١م بنزع إقطاعه وضمه لديوان المفرد، فارتعدت فرائص يَلْبُغَا وأوجس في نفسه خيفة من نزول مزيد من النكبات به، فأسرع بالتواراي عن الأنظار سنة كاملة، ثم ظهر في ذي القعدة سنة ٨٠٤هـ/يونية١٤٠٢م، وصعد إلى القلعة لمقابلة السلطان آملاً في نيل رضاه، والعودة لوظيفته، بيد أن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن، فلم يعره السلطان اهتماماً، ليس هذا فحسب بل أمر بنفيه إلى دمياط بطالاً [٢] هو وأهل بيته [٣].

ثالثاً: تعيين يَلْبُغَا السّالميُّ مشيراً ثم أستاداراً سنة ٨٠٥ هـ/١٤٠٣م.

مكث يَلْبُغَا السّالميُّ في منفاه سنة كاملة حتى أمر السلطان بعودته إلى القاهرة في شوال سنة ٨٠٥هـ/أبريل١٤٠٣م، – بعد القبض [٤] على ماجد [٥] وإبراهيم ابني غراب

---

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخه ١٩٠/٤، المقريزي: السلوك ٦٤/٦، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٧٧/١٢.

(٢) البطال: هو العاطل من الأجناد أو الأمراء أو الموظفين عن أعمال الدولة ووظائفهم وإقطاعاتهم، نتيجة غضب السلطان عليه أو لكبر سنه، أو اضطراراً إلى الاعتكاف أو الاختفاء، أو لمجرد الابتعاد والانزواء، أو للعزل من وظيفته. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية ص ٣٥ .

(٣) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٢٧٠/٤، المقريزي: السلوك ٦٥،٧٨/٦، ابن إياس: بدائع الزهور جـ ١ ق ٢ ص ٦٣٢.

(٤) كان سبب عزل ابن غراب والقبض عليه أنه وقعت بينه وبين الأمير سودون الحمزاوي – صهر الناصر فرج بن برقوق على أخته زينب – ملاسنة فى مجلس السلطان، وأغلظ كلاهما للآخر فى القول، مما أغضب السلطان، فأمر بالقبض عليه هو وأخيه ماجد فى رمضان سنة ٨٠٥ هـ/ مارس ١٤٠٣م، وعزلهما من منصبيهما، وتولى نظر الجيش أبو بكر بن محمد الدماميني، والأستادارية الأمير عمر بن قايماز. المقريزي : السلوك ٦ / ٨٨ .

(٥) ماجد بن عبد الرزاق فخر الدين، شقيق سعد الدين إبراهيم بن غراب وهو الأكبر، ولد كأخيه فى الأسكندرية ونشأ بها، وتولى نظرها لما صار أخوه نظر الخاص سنة ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٧م، ثم جاء به فى سلطنة الناصر فرج وجعله وزيراً، وأضاف إليه نظر الخاص، ولم يكن جديراً بهذه الوظائف فلم تُحمد ولايته، قبض عليه جمال الدين يوسف الأستادار بعد موت أخيه إبراهيم وسجنه ثم قتله سنة ٨١١ هـ/ ١٤٠٩م . ابن حجر: إنباء الغمر ٥ / ٣٣٥ ، ٣٣٦، السخاوي: الضوء اللامع ٦/ ٢٣٤، ٢٣٥.

وحبسهما وعزلهما من وظائفهما في رمضان سنة٨٠٥هـ/مارس ١٤٠٣م – وخلع عليه واستقر به مشيراً للدولة، ومهامه الإشراف على الدواوين السلطانية، وما يرد إليها وما يصدر عنها، ولا يتصرف مباشروا الدواوين فى أمر مهم من شؤون المال إلا برأيه ومشورته[١]، وسلم السلطان يَلْبُغَا السَّالميّ ابني غراب، لينال منهما وتره، وينتقم مما حل به على يدي غريمه سعد الدين بن غراب من قبل، ويستخلص منهما الأموال التي تعهدا بدفعها إلى السلطان، ولكن السَّالميّ احتاط في تعامله مع خصميه، فلم ينل منهما وتره، أو ينزل بهما مكروهاً، حيث خاف سوء العاقبة لو دارت الأيام به كرة أخرى ووقع في أيديهما، فعاملهما بالإحسان وبما لم يتوقعه أحد، وما زال الأمير يشبك الشعباني يسعى في أمرهما عند السلطان حتى عفى عنهما، وأمر بإطلاق سراحهما في ذي القعدة سنة ٨٠٥ هـ /مايو١٤٠٣م [٢].

لم يمر على تعيين يَلْبُغَا مشيراً إلا شهر واحد، حتى أنعم السلطان عليه بالأستادارية للمرة الثانية، في ذي القعدة سنة ٨٠٥هـ/ مايو١٤٠٣م، بدلاً من الأمير عمر[٣] بن قايماز، الذي عجز عن النهوض بمهام وظيفته، كما أضاف إليه السلطان الوزارة، فصار يَلْبُغَا يحوز ثلاثاً من كبريات الوظائف، بيد أنه لم ينعم بها كثيراً، حيث واجه الرجل ثورة المماليك السلطانية عليه في ذي الحجة من السنة نفسها ٨٠٥هـ/يونية١٤٠٣م، لعجزه عن النفقة عليهم وتأخر نفقاتهم وجوامكهم [٤]، مما دفعه للتواري عن الأنظار حتى ظفر المماليك الثائرون به وقبضوا عليه، فحل عليه غضب السلطان ونقمته، حيث أمر بالتحفظ عليه حتى يكمل النفقة على المماليك [٥]، ثم بادر بعزله بعد أن أتمها، وتولى الأستادارية سلفه الأمير عمر بن قايماز، الذي تسلم غريمه وسجنه وضربه ضرباً شديداً، حتى افتدى يَلْبُغَا نفسه بمال جزيل، واضطر إلى بيع كتبه وقماشه للوفاء به، ثم أمر السلطان باعتقاله في الأسكندرية وذلك في صفر سنة ٨٠٦هـ/

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ٦ / ٧١، المقريزي: السلوك ٩٠،٩١/٦، السحماوي: الثغر الباسم ص ٣٩٨.

(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٣٠٨/٤، ٣٠٩، المقريزي: السلوك ٩٠،٩١/٦، ابن حجر: إنباء الغمر٧٤/٥ – ٧٦.

(٣) عمر بن قايماز سيف الدين، ولد بالقاهرة ، وخدم عند مجموعة من أعيان الأمراء، وتولى وظائف عديدة فى الدولة كالأستادارية، ولم يرزق السعادة فيها، مات سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م. السخاوي: الضوء ٦/ ١١٤.

(٤) جوامك: جمع جامكية مصطلح فارسي، يعني إعطاء كسوة منتظمة أو رواتب للعساكر في الدولة، وكانت تشمل أحياناً الحبوب والطعام والعليق، وكانت تصرف لهم في بداية النصف الثاني من كل شهر. دهمان: معجم الألفاظ ص ٥٦، العمايرة : المعجم العسكري المملوكي ص ٨٤.

(٥) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٣١٢/٤، المقريزي: السلوك ٩١،٩٢/٦، ابن حجر: إنباء الغمر٧٧/٥ – ٧٩.

أغسطس ١٤٠٣م [١].

رابعاً: تعيين يَلْبُغَا السّالميُّ مشيراً سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، وصراعه مع جمال الدين الأستادار ومقتله.

ظل يَلْبُغَا السّالميُّ يرسف في أغلال محبسه سنة وبضعة شهور، حتى أمر السلطان بحضوره إلي القاهرة في رمضان سنة ٨٠٧هـ/مارس ١٤٠٥م، فلما مثل بين يديه أكرمه وخلع عليه وجعله مشيراً، بدلاً من الأمير جمال الدين يوسف [٢] البيري الأستادار، ويرجع هذا التحول في موقف السلطان نحو يَلْبُغَا، إلى حالة الاضطراب التي حدثت في القاهرة بين السلطان وبعض الأمراء الذين خرجوا عليه، واتجهوا نحو بلاد الشام، وعلى رأسهم الأمير يشبك الشعباني، الذي أرسل لحلفائه في الأسكندرية بالإفراج عن يَلْبُغَا، ليكون له عونا في صراعه مع السلطان، الذي استبق الأمر وأفرج هو عنه، واستدعاه إلى االقاهرة وجعله مشيراً، ليكون له عوناً على معارضيه من الأمراء، وباشر يَلْبُغَا وظيفته حينئذ – كعادته دائما – بشدة عظيمة وسطوة كبيرة [٣].

اشتد الأمر على السلطان فرج في القاهرة، بعد أن عزم معارضوه من الأمراء في بلاد الشام وعلى رأسهم يشبك الشعباني وابن غراب وغيرهما على الزحف نحو مصر لقتاله، مما دفع السلطان للاستعداد لمواجهتهم، فأمر في ذي الحجة سنة ٨٠٧هـ/مايو ١٤٠٥م يَلْبُغَا السّالميُّ بالخروج إلى الشرقية لرمي الإقامات، استعداداً لخروجه لمقاتلة معارضيه قبل دخولهم مصر، فأسرع يَلْبُغَا بالخروج إليها، وشرع في رمي الإقامات على الأعراب، وجمع ما يحتاجه السلطان من المؤن والدواب اللازمة للقتال، وبلغ السّالميُّ وهو في الشرقية أن الأمير جمال الدين يوسف الأستادار استولى على مجموعة كبيرة مما جمعه من الجِمَال، ونقلها إلى الغربية، مما دفع يَلْبُغَا لأن يسرع بنفسه لاعتراضها، فاستعاد منها ألف جمل ممن ليس عليه داغ [٤] وترك

---

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخه٤/٣٣٩-٣٤١، المقريزي:السلوك ٦/٩٧،٩٨، ابن حجر: إنباء الغمر٥/١٢٨ – ١٣٠.

(٢) جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمد البيري الحلبي، ولد سنة ٧٥٢ هـ/١٣٥١م، وقدم مصر وتولى وظائف لغير واحد من الأمراء، ثم ولاه السلطان فرج الأستادارية، وأضاف إليه الوزارة ونظر الخاص وكشف الوجه البحري ، ثم استقر به مشيراً، واستبد بالأمور حتى صار هو المسيطر على السلطنة، وليس للناصر فرج بن برقوق سوى الاسم، ثم مكر به السلطان حتى قبض عليه وقتله سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م. ابن حجر : إنباء الغمر ٦ / ١٩٨ – ٢٠٢، ذيل الدرر الكامنة ص ٢٠٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٣ / ١٧٥.

(٣) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٤/٤٠٩،٤٠٨، المقريزي: السلوك ٦/ ١٢٣، ابن حجر: إنباء الغمر٥/٢٠٦.

(٤) الداغ: الوسم بحديد محمي لتمييز الدواب عن غيرها. دُوزِي (رينهارت بيتر آن ت ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م): تكملة المعاجم العربية ٤/٤٤٦، نقله إلى العربية وعلق عليه / محمد

ما عدا ذلك[١].

سرعان ما وصلت هذه الأخبار إلى جمال الدين الأستادار، الذي كان مرافقاً للسلطان وهو في طريقه من القاهرة إلى الشرقية، فغضب غضباً شديداً من يَلْبُغَا وشكاه إلى السلطان، متهما إياه بأنه خرّب البلاد، وأخذ أموال العباد ظلماً باسم السلطان، ولم يكن هذا هو السبب الرئيس لغضبه، بل كانت هذه الواقعة هي القشة التي قصمت ظهر البعير، حيث كان جمال الدين الأستادار يتوجس خيفة من يَلْبُغَا السّالميِّ، الذي جعله السلطان مشيراً بدلاً منه في رمضان سنة ٨٠٦ هـ/مارس ١٤٠٤م، وباشر يَلْبُغَا وظيفته حينئذ بشدة وسطوة كبيرة، وإعجاب برأيه واستبداد بتدبيره، حتى صار كبار ولاة الوظائف في السلطنة يترددون إلى بيت يَلْبُغَا، ولا يقطعون أمراً من أمور الدولة دون مشورته، وصار الوزير ابن البقري [٢] وجمال الدين الأستادار نفسه يقفان في خدمة يَلْبُغَا، ولا يفعلان شيئاً إلا بأمره، فثقل ذلك على جمال الدين الأستادار، وعز عليه أن يحوز يَلْبُغَا هذه المكانة المرموقة دونه، وضاق بالسلطات والصلاحيات التي نالها غريمه، فكل هذه الأسباب كانت سبباً وجيهاً للعداوة من جمال الدين الأستادار ليَلْبُغَا السّالميِّ، ثم جاءت واقعة الجِمَال فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير، لذلك سعى جمال الدين للإيقاع بيَلْبُغَا السّالميِّ عند السلطان والتخلص منه، فكان ما كان من محاولته الأخيرة للوشاية به، وكيل الاتهامات الباطلة لغريمه، بغية إيغار صدر السلطان عليه، ثم عزله والتخلص منه [٣].

نجحت وشاية جمال الدين الأستادار وآتت أكلها عند السلطان، الذي أمر على الفور بخروج جمال الدين ومعه ثلاثة من الأمراء للقبض على يَلْبُغَا السّالميِّ ، وإحضاره مصفداً في الأغلال بين يديه ، فأسرع جمال الدين مبتهجاً لنيل مبتغاه، في الوقت الذي وصلت فيه الجِمَال التي استعادها يَلْبُغَا لمعسكر السلطان وهو في طريقه نحو الشرقية، وكان يَلْبُغَا من الحصافة والذكاء بما كان، فأرسل مع الجِمَال كتاباً إلى السلطان ومرافقه الأمير إينال باي[٤] بن قجماس، يطالعهما فيه بملابسات

سليم النعيمي وآخرون، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م .

(١) ابن قاضي شهبة : تاريخه ٤/٤١٨،٤١٤.

(٢) ابن البقري: نسبة لدار البقر من الغربية، تاج الدين عبدالله بن سعد الدين نصر الله بن البقري، الوزير بن الوزير، تولى العديد من الوظائف الديوانية، كنظر الديوان المفرد والوزارة ونظر الدولة، ونظر الخاص ونظر الجيش، ثم عزله الناصر فرج من الوزارة وحبسه، فتسلمه جمال الدين يوسف الأستادار ومعه آخرين ليستخلص منهم الأموال، ثم قتله سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م. ابن تغري بردي: النجوم١٣/١٥٨، السخاوي: الضوء اللامع١١/ ١٥٤،٢٣٨.

(٣) المقريزي: درر العقود ٣/٥٤٨،٥٤٧، ٥٦٣، المواعظ ٤/٨٣، ابن حجر: إنباء الغمر ٥/٢٠٦، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٢/١٩٠ .

(٤) إينال باي بن قجماس، كان والده أميراً فى سلطنة الظاهر برقوق وابن عم له، وإينال

قضية استعادة هذه الجِمَال من غريمه جمال الدين، فأسرع الأمير إينال باي إلى السلطان مدافعاً عن يَلْبُغَا السّالميِّ، الذي ثبتت براءته مما نُسب إليه، ومؤكداً على أنه يعمل ويتحرك في طول البلاد وعرضها لتحقيق مصالح السلطان، وجمع المؤن والإقامات والمحافظة عليها، وهذا يخالف كل ما أشاعه عنه جمال الدين الأستادار (١).

تواكب مع هذه التطورات الجديدة في الأحداث، ترقب المماليك في المعسكر لتوزيع هذه الجِمَال عليهم، فأمر السلطان فرج بن برقوق لهم بذلك، وأرسل ليَلْبُغَا السّالميِّ الذي عاد إلى القاهرة بهدية نفيسة علامة لرضاه عنه، كما كتب السلطان إلى جمال الدين الأستادار ومن معه بالعودة إلى معسكره، وألا يعارضوا يَلْبُغَا السّالميِّ فيما يقوم به من إجراءات لصالحه، وظن السلطان أنه بذلك أصلح ما بين الأميرين المتنافسين، بيد أن هذا الصلح كان كسراب يحسبه الظمآن ماء، إذ ظلت العداوة كامنة من جمال الدين الأستادار ليَلْبُغَا السّالميِّ، وظل الأول منهما يتحين فرصة أخرى للإيقاع بغريمه عند السلطان (٢).

لم يقف يَلْبُغَا السّالميِّ عند هذه الواقعة كثيراً، بعد أن ثبتت براءته مما نُسب إليه، وشرع الرجل وهو في القاهرة في النظر في أحوال صرف النقد في البلاد، فأمر في العاشر من ذي الحجة سنة ٨٠٧هـ/الثامن من يونية ١٤٠٥م بالمناداة في الناس بتخفيض سعر صرف النقود النحاسية بجعل الرطل منها بأربعة دراهم بعد أن وصل إلى ستة، وجعل الدينار بثمانين درهما بعد أن كان بمائة وثلاثين، فقلق الناس من هذا القرار قلقاً عظيماً، وحصل لهم اضطراب في تعاملاتهم المالية، لتخفيض سعر الصرف، وخسارتهم لبعض قيمة نقدهم، فأكثروا من الدعاء على السّالميِّ، ورفض نائب الغيبة الأمير تمراز الناصري هذا القرار، ونادي في الناس بإبطاله، وبقاء أسعار صرف العملة كما كان من ذي قبل، كما بادر بالكتابة إلى السلطان بالشكوى من السّالميِّ وقراره الذي أثار قلقاً عند الناس كافة (٣)، خاصة وأن الناس في وجل عظيم، وتتبع لأخبار سير العمليات العسكرية للسلطان في الشرقية، وليسوا بحاجة

خاصكياً حينئذ، ترقى إينال فى الوظائف، فنال تقدمة ثم الأخورية في عهد السلطان فرج، ثم غضب منه فقبض عليه وسجنه فى الأسكندرية ثم أفرج عنه بعد واقعة السعيدية سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤،ولما اختفى الناصر فى السنة التالية بتدبير ابن غراب، كان أمر الدولة له ولبيبرس، ولما عاد الناصر إلى السلطنة هرب إينال باي خوفاً منه، ولجا إلى بلاد الشام واستولى على غزة، فخرج إليه الأمير شيخ المحمودي وقتله سنة ٨٠٩ هـ/١٤٠٦م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي ٣ / ٢١٧– ٢٢١.

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٤١٨/٤، المقريزي: السلوك ٦/ ١٣٠ .

(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٤١٨/٤، المقريزي: السلوك ٦/ ١٣٠ .

(٣) المقريزي: السلوك ٦/ ١٣٠، ابن حجر: إنباء الغمر ٢١٩/٥ ، ٢٢٠ .

لمزيد من القلق بشأن أموالهم وتعاملاتهم النقدية .

وجد جمال الدين الأستادار في هذه الواقعة الجديدة فرصة ذهبية، ورمية من غير رام للحط على يَلْبُغَا السَّالميِّ، والقول فيه بالباطل، مغتنماً غيبته وبعده عن السلطان، فأوحي إليه من زخرف القول غروراً، وجدد اتهامه ليَلْبُغَا بأنه خرِّب البلاد، واستولى على أموال العباد ظلماً، وما زال في مكره وكيده لغريمه، حتى مال السلطان لتصديق أقواله، خاصة وأن السلطان كان يتأهب لمواجهة خصومة الذين وصلوا إلى السعيدية [١]، فأرسل السلطان إلى نائب الغيبة في القاهرة في الثاني عشر من ذي الحجة سنة ٨٠٧هـ/العاشر من يونية ١٤٠٥م بالقبض على يَلْبُغَا السَّالميِّ وحبسه، ومصادرة جميع ثرواته وموجوده، فأسرع نائب الغيبة الذي كان هو الآخر موتوراً منه من ذي قبل باعتقاله، وتنفيذ كل أوامر السلطان فيه، وما ذلك كله إلا بسعي من جمال الدين الأستادار ووشايته في غريمه لدي السلطان [٢].

حلت الهزيمة بالسلطان من أعدائه في معركة السعيدية في الرابع عشر من ذي الحجة سنة ٨٠٧هـ/ الثاني عشر من يونية ١٤٠٥م، واضطر السلطان إلى العودة إلى القاهرة سريعاً، وما أن استقرت أقدامه في القلعة حتى ألح عليه جمال الدين الأستادار في تسلم غريمه يَلْبُغَا للنيل منه، فأجابه السلطان لمطلبه، وكان جمال الدين مشهوراً بقلة الدين، وكثرة الظلم والقسوة والجبروت، فأمر بضربه ضرباً شديداً، والتشديد في معاقبته لقتله والتخلص منه، بيد أنه لم يُمكن من نيل مآربه، حيث أمر السلطان في السابع عشر من ذي الحجة سنة ٨٠٧هـ/ الخامس عشر من يونية ١٤٠٥م بنفي السَّالميِّ وحبسه في الأسكندرية، ولم يتركه جمال الدين يرحل إليها بهدوء، بل أغرى العامة بغريمه حتى كادوا أن يرجموه وهو سائر في النيل إلى الأسكندرية ليُحبس فيها [٣].

ظل يَلْبُغَا السَّالميِّ يرسف في أغلال محبسه، ولم يهدأ لجمال الدين الأستادار بال، وجفى النوم عينيه، خوفاً من رضا السلطان عنه وخروجه واستعادته لوظائفه، فأخذ في السعي والتدبير لقتل غريمه والتخلص منه

---

(١) السعيدية: من القرى القديمة المندرسة ، كانت تقع ناحية العباسة بين بلبيس والخطارة بالشرقية، وهى من ضمن مراكز البريد في طريق الشام، وأسماها الظاهر بيبرس السعيدية نسبة إلى ولده السعيد محمد بركة، ومكانها اليوم عزبة السعيدية، المعروفة بعزبة الشيخ مطر حنفي، الواقعة بقرب فم ترعة السعيدية المنسوبة إلى هذه البلدة بأراضي ناحية العباسة بمركز أبو حماد بمديرية الشرقية. المواعظ والاعتبار٤ / ١٠١، محمد رمزي: القاموس الجغرافي القسم الأول ص ٧٠ .

(٢) المقريزي: السلوك ٦/ ١٣٠، ابن حجر: إنباء الغمر ٢١٩/٥، ٢٢٠، ابن إياس: بدائع الزهور ج ١ق ٢ ص ٧٢٠ .

(٣) المقريزي: السلوك ٦/ ١٣١، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٧٧/١٢، ابن إياس: بدائع الزهور ج ١ق ٢ ص ٧٢١.

دون رجعة، ونجح جمال الدين في استمالة جماعة من كبار أمراء الدولة لذلك ببذل الأموال لهم، كما وعد جمال الدين السلطان بمال كثير لو مكنه من رقبة غريمه فأجابه لمطلبه، وصدر المرسوم السلطاني بقتل يَلْبُغَا السّالميِّ، فأرسل جمال الدين الأستادار من قتله خنقاً وهو صائم، في عصر يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٨١١هـ/ السادس من نوفمبر سنة ١٤٠٨م، وكان عمر يَلْبُغَا السّالميِّ يومئذ بضعاً وثلاثين سنة، وما عاش قاتله جمال الدين الأستادار بعده إلا دون العشرة أشهر، حيث لقي مصيره قتلاً على يدي السلطان فرج نفسه، جزاءً وفاقاً لما اقترفت يداه في حق السّالميِّ وغيره، ولا يظلم ربك أحداً [١].

خامساً: حكم المؤرخين على يَلْبُغَا السّالميِّ، وتقييمهم لصفاته.

بعد هذا التناول لحياة يَلْبُغَا السّالميِّ ووظائفه المختلفة، يصل الباحث إلى حكم المؤرخين عليه وتقييمهم لصفاته المختلفة، وهو الأمر الذي به تكاد الصورة أن تكتمل عن الرجل وتلامس الحقيقة، تلك التي ينشدها كل باحث للتاريخ، فبادئ ذي بدء لايساور المرء ريب في أن يَلْبُغَا السّالميِّ كان بريئاً من كل ما نسبه إليه جمال الدين الأستادار، فلم يثبت عليه شيء من أكل أموال البلاد أو العباد ظلماً من دون وجه حق، ولم تعثر السلطة الحاكمة يومئذ عن شيء من ثرواته قَلّ أو جَلّ، مما قد يكون الرجل اكتنزه بطريقة أو بأخرى، كما كان معهوداً لمن ولي من أمثاله وظائف وأعمالاً مهمة في الدولة، إذن فالرجل قتل مظلوماً، وباء بإثم سفك دمه جمال الدين الأستادار، ولم يكن ليَلْبُغَا من عثرات خلال عقد من الزمان حفلت المصادر بأخباره إلا فرضه للجبايات، تلك التي أماط الباحث النقاب عنها، والتمس يَلْبُغَا لنفسه عذراً فيها.

ومما يعضد مما يراه الباحث من براءة الرجل تلك الصفات المحمودة، والمناقب المشهودة التي سطرها المؤرخون عنه، فقد اتصف يَلْبُغَا السّالميِّ بالذكاء والفطنة والمروءة والهمة العالية، والعفة حتى عن قبول الهدية، والقيام في شأن من يقصده، وكونه كريماً باذلاً يده بالمعروف والصدقات التي تخرج عن الحد[٢]، يكفيه فخراً وشرفاً وصف المقريزي [٣] له بقوله:" صحبته سفراً وحضراً، وكان لي مُجِلاً ومعظماً، وقلما رأيت مثله"، وشاركه في الثناء عليه السخاوي [٤] حيث قال:" فعل من المحاسن ما يطول شرحه، وسار في الأستادارية سيرة حسنة عفيفة، وأبطل مظالم كثيرة، .... فكان من محاسن جنسه"

(١) المقريزي:درر العقود ٣/ ٥٤٨،ابن حجر:إنباء الغمر ١٣٤/٦،ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة١٧١/١٣.

(٢) المقريزي: درر العقود ٥٤٥/٣، ابن حجر: إنباء الغمر١٣٥/٦، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٧٨/١٢.

(٣) درر العقود ٣/ ٥٤٩.

(٤) الضوء اللامع ١٠/ ٢٨٩ ، ٢٩٠..

وأما عن سلوك الرجل في العبادة فقد كان مثالاً يُحتذى به فيها، محافظاً على الفرائض، ومواظباً على السنن الرواتب والنوافل، مكثراً من قيام الليل والذكر، كلما أحدث ليلاً أو نهاراً توضأ وصلى ركعتين، ولايصلي فريضة إلا بوضوء جديد، يصوم يوماً ويفطر يوماً، ومداوماً على صيام السنن، لايخل بشيء مما سبق ذكره سفراً ولا حضراً، ولايشغله ما هو فيه من مهام الأعمال والوظائف عن عبادته، يختم كتاب الله في كل ثلاثة أيام مرة، ولايترك أوراده وأذكاره في حال من الأحوال سفراً ولا حضراً، فكانت له أحوال فريدة في كثرة العبادة، كما أن الرجل حج إلى بيت الله الحرام في مطلع شبابه [١]، وزار الحرمين الشريفين غير مرة.

وأما عن جهود يَلْبُغَا السَّالميِّ في التحصيل العلمي، فقد كان الرجل طيلة حياته محباً للعلم وأهله، مجالساً للفضلاء منهم، درس الفقه الحنفي، ومال إلى التصوف، وأتقن الحساب، وقرأ في أخريات حياته القراءات السبع، وحُبب إليه الحديث فسمع منه كثيراً وطلبه وارتحل لتحصيله غير مرة، فسمع في حلب من عمر [٢] بن أيدغمش النصيبي، وبدمشق من أبي هريرة [٣] بن الذهبي، وسمع في المدينة المنورة من أبي بكر [٤] المراغي

(١) المقريزي: درر العقود ٥٤٨/٣، ابن حجر: إنباء الغمر١٣٣/٦، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٧٧/١٢، ١٧٨، السخاوي: الضوء اللامع ٢٦٤/٥، ٢٩٠/١٠.

(٢) عمر بن أيدغمش النصيبي الحلبي، مسند الديار الحلبية المعروف بالكبير، ولد سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م، وكان في بداية حياته جندياً، ولما كبر ترك ذلك وعمل بمهنة بيع الفراء، سمع من محدثي عصره كالعز إبراهيم بن صالح العجمي، وكان خاتمة أصحابه بالسماع، وحدث حتى صار مسند حلب، وسمع منه الأئمة كالبرهان الحلبي، والعز الحاضري والشهاب الحسيني وغيرهم، مات سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م. ابن حجر: إنباء الغمر٤ /٧٢ ،٧٣، ذيل الدرر الكامنة ص ٧٤، السخاوي: الضوء اللامع٦/٧٤، ٧٥.

(٣) أبو هريرة بن الذهبي: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قايماز التركماني الأصل، زين الدين بن الحافظ شمس الدين الذهبي، ولد في دمشق سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م، وأسمعه أبوه مبكراً علي محدثي عصره كالحجار والقاسم بن عساكر وغيرهما، وأجاز له جماعة من مدحثي البلدان، وكان محباً للحديث وأهله، وتفرد بكثير من الشيوخ والروايات، خرج له أبوه أربعين حديثاً من عواليه حدث بها في حياة أبيه قبل سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، وتفرد بجملة من مسموعاته، توفي بدمشق سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٧م. المقريزي: درر العقود ٢٥٦/٢، ابن حجر: إنباء الغمر٣٥٠/٣ ، الدرر الكامنة ٢/ ٤٤٩.

(٤) أبو بكر بن حسين بن عمر المراغي المصري الشافعي، ولد في القاهرة سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٤م، واشتغل بتحصيل العلم كثيراً، وحصل من الفقه جانباً كبيراً، وسمع و أخذ عن الحافظ مغلطاي، وأجاز له أبو العباس بن الشحنة، فكان آخر من حدث عنه، وكذلك أجاز له الحافظ جمال الدين المزي والحجار، وأخذ عن الشيخ تقي الدين السبكي، جاور في المدينة وعاش فيها خمسين سنة، وتولى قضاءها وخطابتها وإمامتها في سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، وحدث في مصر ومكة

أطرافاً من كتب حديثية، كما استقدم يَلْبُغَا السّالميُّ علي [١] بن أبي المجد من دمشق إلى القاهرة، حتى سمع هو والناس عليه صحيح البخاري مراراً، وسمع بمكة المكرمة والقاهرة على جماعة من المحدثين، كما حضر يَلْبُغَا مع المقريزي وابن حجر مجالس الإملاء على الشيخ العراقي[٢]، والسماع عليه هو وغيره[٣].

وبالرغم من تنوع العلوم التي اجتهد يَلْبُغَا في تحصيلها وسماعها وتعلمها، إلا أن الرجل لم يبرع في واحد منها إلى الدرجة التي تجعله يخلف له فيها أثراً أو نتاجاً [٤]، وإنما ظهر انعكاس دراسة هذه العلوم عليه في دفعه إلى الاجتهاد في العبادة والمداومة عليها، ومحاولة اقتفاء أثر العلماء في أخلاقهم، والتحلي بسيماهم- كما أوضح البحث آنفاً-، وهذا أمر طَبَعِيٌّ ومتوقع لمن كان يخوض كمثله في غمار الوظائف والأعمال الإدارية، تلك التي شغلته عن النبوغ والإجادة في العلم كأهله، الذين وقفوا حياتهم وجهدهم عليه دون غيره، ولولا ذلك لكان من المرتجى أن يكون للرجل شأن آخر في العلم وتحصيله والإبداع فيه .

وبالرغم من الصفات المحمودة التي

والمدينة، ومات بها سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م. المقريزي: درر العقود ١/١٣٠، ١٣١، ابن حجر: إنباء الغمر٧/١٢٨، ١٢٩، ذيل الدرر الكامنة ص ٢٣٠،٢٢٩.

(١) علي بن محمد بن محمد بن أبي المجد الدمشقي، سبط القاضي نجم الدين الدمشقي، ولد سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م بدمشق، سمع على ست الوزراء بنت المنجي، وأبي محمد بن أبي غالب بن عساكر، ومحمد بن رزين بن مشرف، وهو آخر من حدث عنهم بالسماع من الرجال، أجاز له جماعة تفرد بالرواية عنهم في القاهرة، وسمع صحيح البخاري على ست الوزراء سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م، قدم القاهرة سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م فأقام بها للاسماع إلى سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٨م، ثم رجع إلى دمشق فمات في السنة ذاتها. المقريزي: درر العقود ٢/٥٥٠، ابن حجر: إنباء الغمر٣/٤٠٧، ٤٠٨.

(٢) العراقي: عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن زين الدين العراقي الأصل نزيل القاهرة، ولد سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، واشتغل بدراسة الفقه والقراءات، ولازم القاضي عز الدين بن جماعة فشجعة على السماع، فانكب على سماع الحديث ولازم محدثي عصره، ورحل للسماع من دمشق وحلب والقاهرة وغيرها، وأثنى عليه شيوخ عصره كابن كثير والسبكي، تولى قضاء المدينة المنورة سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م، ثم سكن القاهرة واستقر فيها، صنف ونظم كثير من المؤلفات في الحديث، حتى انتهت إليه رئاستة، و صار هو المنظور إليه فيه وحافظ عصره، ورحل إليه الطلاب من الآفاق للسماع منه، مات سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٤م.المقريزي: السلوك ٦/١٠٨، درر العقود ٢/٢٣٤-٢٣٧، ابن حجر: إنباء الغمر٥/١٧٠ – ١٧٣، ذيل الدرر الكامنة ص ١٤٣ – ١٤٥.

(٣) المقريزي: درر العقود ٣/٥٤٨، ابن حجر: إنباء الغمر٣ / ٦٧ ،٦/١٣٤،١٣٣، السخاوي: الضوء اللامع ٥/٢٦٤ ، ١٠/٢٩٠، وجيز الكلام ١/٤٠٠ .

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر٦/١٣٣، السخاوي: الضوء اللامع ١٠/٢٩٠.

سطّرها المؤرخون ليَلْبُغَا السّالميِّ في جوانب صفاته الشخصية والعبادة والعلم، إلا أن الرجل كان في مباشرته لوظائفه وتعامله مع نظرائه من الأمراء شديداً حاسماً، نظراً للتنافس السياسي بينه وبين معاصريه، فترك مدارة الأمراء وعارضهم فأبغضوه، ناهيك عن شدة الرجل أحياناً في القيام بما أُسند إليه، -كجمع الجبايات من الناس كافة-، مما كان سبباً لاتهام بعضهم له بأنه كان شديد التمسك بما يريده لايزحزحه عنه شيء، وهو ما ترتب عليه أحياناً وقوعه في عدوات مع معاصريه كصراعه مع الأمير تمراز نائب الغيبة، أو مناطحته لكبار أمراء الدولة لاستبدادهم بشؤونها دون السلطان فرج، فكرهه هؤلاء الأمراء، وترصدوا للإيقاع به عند السلطان، الذي لم يقدر ما قام به يَلْبُغَا في سبيله، ولم يشفع له ذلك عنده، فأطاح به وعزله وصادره وسجنه غير مرة، كما كان يَلْبُغَا لا ينقاد لغيره من نظرائه من أرباب الوظائف بسهوله، ويداخله أحياناً شيء من العُجب، كما حدث له مع جمال الدين الأستادار، لما خلفه يَلْبُغَا على الإشارة، حتى كانت نهاية يَلْبُغَا على يديه[١] .

وبالرغم من الحوادث الجسام التي خاضها يَلْبُغَا السّالميِّ مع معاصريه، وصواب ما قام به أحياناً، ومجانبته للصواب حيناً، إلا أن الرجل نهض نهوضاً حسناً بجل ما أُسند إليه من مهام ووظائف، وكانت له أعمال جليلة وجهود محمودة، راقت للمؤرخين فأثنوا عليه خيراً، وتركت له بصمات واضحة في ثنايا مؤلفاتهم، وهذا ما سأعرض له في المبحث الثاني:

المبحث الثاني

جهود يَلْبُغَا السّالميِّ وأعمالهُ.

نهض الأمير يَلْبُغَا السّالميِّ في حياته القصيرة – التي لم تتجاوز الأربعين عاماً –، وفي العقد الأخير منها، بجملة من الأعمال الجليلة، التي خلّدت ذكره، وكان لها أثر طيب في نفوس الأهلين في طول البلاد وعرضها، والتي تمثلت فيما يلي:

أولاً:جهود يَلْبُغَا السّالميِّ في النظرعلى بعض المنشآت الدينية

٧٩٧-٨٠١هـ/١٣٩٥- ١٣٩٩م.

برز يَلْبُغَا السّالميِّ على مسرح الأحداث في الدولة المملوكية بعد أن حاز على ثقة السلطان برقوق عقب واقعة صفد سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م، تلك التي كان لها أثر كبير في استعادة برقوق لمقاليد الحكم في البلاد، ثم كلفه السلطان بعدد من المهام الدبلوماسية فكان عند حسن الظن به، ثم أنعم عليه بمهمة النظر[٢] على بعض المنشىآت الدينية في القاهرة فنهض يَلْبُغَا بما كُلف به نهوضاً حسناً، وبصورة جعلت السلطان يجمع إليه مهمة النظر على ثلاث منها في وقت واحد، وهي ما

(١) المقريزي: درر العقود ٥٤٨/٣، السلوك ٢٢١/٦، ابن حجر: إنباء الغمر١٣٣/٦، ١٣٥، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٧٨/١٢، السخاوي: الضوء اللامع ٢٨٩/١٠، ٢٩٠.

(٢) الناظر: هو من ينظر فى شؤون الأموال ويتفقد تصرفاتها ، ويرفع إليه حسابها لينظر فيه ويدققه ، فيمضى ما يمضى ويرد الباقى . دهمان : معجم الألفاظ ص ١٥٠ .

يلي :

١ – نظر يَلْبُغَا السّالميُّ على الخانقاه [١] الصلاحية [٢] سعيد السعداء سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٥م.

أنعم السلطان برقوق على يَلْبُغَا السّالميُّ بنظر الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء في جمادى الآخرة سنة ٧٩٧هـ/أبريل ١٣٩٥م، بعد أن تفاقمت مشاكلها، وعجز ريع وقفها عن الإنفاق على صوفيتها، ويرجع السبب في ذلك إلى أن السلطان برقوق كان قد عهد للأمير سودون [٣] الشيخوني نائب السلطنة [٤] بنظرها في مطلع سلطنته الثانية سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م، وكان عدد صوفيتها ثلاثمائة رجل، لكل واحد منهم طعام يومي من اللحم والخبز، ومن الحلوى والصابون مقدار شهري، وكسوة سنوية مقداراها أربعون درهما، ولكن الأمير سودون تساهل في التقيد بشرط الواقف للخانقاه، حتى صار كل من يسأله في نزولها يجيبه، حتى صار عددهم خمسمائة رجل، فعجز ريع وقفها عن الوفاء بمتطلبات صوفيتها، فقطع المباشرون عنهم كل شيء ماعدا طعامهم

(١) الخانقاه: كلمة فارسية تعني محلاً للتعبد والتزهد والبعد عن الناس، دخلت إلى العربية منذ أن انتشر التصوف. دهمان: معجم الألفاظ المملوكية ص ٦٦.

(٢) الخانقاه الصلاحية: أو دار سعيد السعداء، أو دويرة الصوفية، كانت أمام دار الوزارة بخط رحبة العيد من القاهرة، عرفت فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء، وهو الأستاذ قنبر أحد خدام القصر، ولما تولى صلاح الدين الأيوبى حكم مصر خصصها للصوفية الواردين من خارج مصر، وجعل لها أوقافا وشيخاً، فكانت أول خانقاه فى مصر، وكان سكانها يعرفون بالعلم والصلاح، وتولى مشيختها الأكابر والأعيان، وظلت عامرة حتى عصر المقريزى. المقريزي: المواعظ ٤ / ٢٨٢ – ٢٨٤ .

(٣) سودون بن عبد الله الشيخوني، ولاه السلطان برقوق نيابة السلطنة سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، فاستمر بها سنين طويلة وهو وافر الحرمة ، وكان قدوة للظاهر برقوق، بحيث إنه لا يخرج عن رأي سودون هذا، ولما خلع برقوق من السلطنة سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م ، تعرض سودون للعزل من منصبه، وسجن حتى عاد برقوق للسلطنة مرة أخرى، فأعاده لنيابة السلطنة وزادت رتبته ومكانته عنده، ثم استعفى سودون من وظيفته لكبر سنه فأعفاه برقوق سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م، وما لبث أن مرض وتوفى سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي ٦/ ١٠٤ – ١٠٨.

(٤) نائب السلطنة كان يتصدر وظائف أرباب السيف في الدولة المملوكية، فهو يقوم مقام السلطان، ويحكم في كل ما يحكم فيه، وينوب عنه في معظم أموره وشؤونه، ويضطلع بكثير من الأعمال والمهام التي تعد من اختصاصات السلطان وحده، كتعيين كبار أرباب الوظائف في الدولة، أو ترشيح من يتولاها، والتوقيع في كل ما يوقع فيه السلطان من المراسيم والقررات، وتوزيع الإقطاعات على مستحقيها، وقصارى القول: إن النائب كان سلطاناً مختصراً. القلقشندي: صبح الأعشى ٤ /١٧، ١٨، المقريزي: المواعظ ٣ /٣٧٥.

اليومي، ثم زاد الأمر سوءاً بعد أن شرقت[١] ناحية دهمرو [٢] لقصور ماء النيل في هذه السنة ٧٩٧هـ/١٣٩٥م، وهي من أوقاف الخانقاه المذكورة، فعزم مباشرو الخانقاه على غلق مطبخها ومخبزها من أوائل رجب من السنة ذاتها ٧٩٧هـ/أبريل ١٣٩٥م، فضج صوفيتها بالشكوى إلى السلطان غير مرة، فعهد بنظرها إلى يَلْبُغَا السّالميِّ، وأمره بإخراج كتاب وقفها والعمل بشرط واقفها، لتدارك ما حل بها من خلل، واستجابة لشكوى صوفيتها المتكررة من مباشريها [٣].

شرع يَلْبُغَا السّالميِّ فور توليه نظر الخانقاه في تنفيذ أوامر السلطان برقوق، فأخرج كتاب وقفها وعرضه على شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني [٤]، فأمره بأن يعمل بشرط الواقف، وهو أن الخانقاه مقصورة على الصوفية من داخل مصر وخارجها، فإذ لم يتوفر ذلك فعلى الفقراء والمساكين من فقهاء الشافعية والمالكية دون سواهم، ثم جمع يَلْبُغَا السّالميُّ الشيخ البلقيني والقضاة وصوفية الخانقاه، وقرأ عليهم كتاب وقفها، وسأل الحضور عن الحكم في العمل بشرط الواقف، فتحدث عن الصوفية الشيخ القمني [٥] – من فقهاء الشافعية – والعبادي [٦] – من فقهاء

---

(١) شرقت: اشتد جفاف الأرض من عدم الري. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ص ٤٨٠، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤ ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) دهمرو: من القرى القديمة من أعمال البهنساوية. رمزي: القاموس الجغرافي القسم الثاني الجزء الثالث ص٢٤٨.

(٣) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٥٤٧/٣ المقريزي: المواعظ ٤/ ٢٨٣ ، ٢٨٤، ابن الصيرفي: نزهة النفوس ١/ ٤٠٦ ، ٤٠٧.

(٤) البلقيني: عمر بن رسلان بن نصير البلقيني، ولد سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م، وحفظ القرآن ببلده، ثم قدم القاهرة مع والده لطلب العلم سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م واستوطنها، سمع الحديث ودرس الفقه واللغة والأصول، وأخذ عن جمع من العلماء، أفتى ودرس وهو شاب، وظهرت فضائله وطار في الآفاق صيته، وصار أعلم أهل زمانه بالفقه بالشافعي حتى انتهت إليه رئاسته، ولي قضاء الشافعية في الشام ثم مصر مرات عديدة، مات سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٣م.ابن حجر: إنباء الغمر٥/١٠٧ – ١٠٩.

(٥) القمني:أبو بكر بن عمر بن عرفات الخزرجي القاهري، ولد سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م بقمن، ثم قدم القاهرة في حدود سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، واستمع للسراج البلقيني وغيره، ثم ارتحل إلى الشام قبل سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٦٨م، فسمع من شيوخها، كابن العز والبرهان بن جماعة وغيرهما، وتقرب لأمراء الترك فَراجَ أمره؛ وتقدمت أحواله في سلطنة الظاهر برقوق، فتولى تدريس الصلاحية سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م، كما درس بمدارس مصر كالشريفية، والمنصورية، توفى سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م. ابن حجر: إنباء الغمر ٧/ ٢٠٩ – ٢١١، السخاوي : الضوء اللامع ١١/ ٦٣ ، ٦٤ .

(٦) العبادي: شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن محمد، تفقه على السراج الهندي، وحصل ودرس، ترقى حتى كتب توقيع القضاة، وناب في الحكم في القاهرة، وتصدى للتدريس مدة، ثم امتحن في أخريات حياته بقضية السالمي، مات

الحنفية ونائب القاضي الحنفي- ، وأخذا في الجدال مع السّالميِّ، الذي أعرض عنهما وتوجه بسؤاله إلى القضاة، فأجابوه بالإجماع على ضرورة العمل بشرط الواقف، وانفض المجلس على ذلك [١].

سارع يَلْبُغَا السّالميِّ من ليلته بطلب مباشري الخانقاه، فعرضوا عليه أسماء صوفيتها وصفاتهم، فبادر بقطع أرزاق [٢] خمسين رجلاً من الذين يلوون وظائف في القضاء والحكم بين الناس، أو من لهم شهرة بغنى وسعة مال، ومنهم القمني والعبادي، كما أمر السّالميِّ في الوقت نفسه بزيادة الفقراء من صوفية الخانقاه من نصيبهم من الخبز اليومي، وكان لهذه القرارات أصداء واسعة بين أهل الخانقاه ومعاصري الواقعة، حتى قال أحد الشعراء في السّالميِّ ومعارضيه من الصوفية :

يا أهل خانقاه الصلاح أراكمُ
ما بين شاكٍ للزمان وشاتم
فيكفيكموا ما قد أكلتم باطلاً
من وقفها وخرجتم بالسالم[٣]

كان من الطَبَعِيِّ ألا يستكين العبادي والقمني لقررات يَلْبُغَا السّالميِّ بقطع أرزاقهما من الخانقاه المذكورة، لذا فقد بسطا ألسنتهما فيه، ليس هذا فحسب بل تجاوز العبادي في خصومته للسالمي فاتهمه بالكفر، بعد أن أشاع عنه أنه قال لمن جاءه مستشفعاً في العبادي لرده إلى الخانقاه: لو جاء جبريل وميكائيل يشفعان عندي في العبادي ما قبلت شفاعتهما، مما أشعل غضب السّالميِّ ، فشكاه إلى السلطان، والتمس منه عقد مجلس لمحاققته، فجمع بينهما والقضاة في رجب سنة ٧٩٧هـ/ أبريل سنة ١٤٠٥م، وأثبت السّالميِّ على العبادي تهمة الكذب والافتراء في حقه، فحكم القضاة بعزله من نيابة الحكم وتعزيره وحبسه، ولم يطلق سراحه إلا بشفاعة البلقيني له عند يَلْبُغَا السّالميِّ [٤] .

٢ – تجديد يَلْبُغَا السّالميِّ لعمارة الجامع الأقمر [٥] سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٧م .

سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م. المقريزي: درر العقود١/ ٣٥٨، ٣٥٩، ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة ص ٦٣.

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٥٤٧/٣ المقريزي: السلوك ٥/ ٣٧٢، المواعظ ٤/ ٢٨٤، ابن الصيرفي: نزهة النفوس ١/ ٤٠٧ ، ٤٠٨.

(٢) الأرزاق: هي ما يتُحصل عليه الشخص من مخصصات نقدية أو عينية سواء أكانت شهرية أم سنوية. العمايرة: المعجم العسكري ص ١٤١

(٣) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٥٤٦/٣ ، ٥٤٧، المقريزي: السلوك ٥/ ٣٧٢، المواعظ ٤/ ٢٨٤ ، ابن حجر: إنباء الغمر ٣٧٢/٥.

(٤) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٥٤٨/٣، ٥٤٩، المقريزي: السلوك ٥/ ٣٧٢، ٣٧٣، ابن حجر: إنباء الغمر ٢٤٩/٣ ، ٢٥٠.

(٥) هذا الجامع بناه الوزير الفاطمي المامون بن البطائحي، للخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله أبي علي منصور سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م بخط الركن المخلق داخل القاهرة، ولم يكن الجامع تقام فيه خطبة بعد الفاطميين، بل كان لغيرها من الصلوات الجامعة، وجدد عمارته السلطان المملوكي بيبرس وأثبت ذلك في لوح على محرابه. القلقشندي: صبح الأعشى ٤١١/٣ ،

من الأعمال المهمة التي قام بها يَلْبُغَا السّالميُّ في مطلع حياته تجديده وعمارته للجامع الأقمر، بعد أن عهد إليه السلطان برقوق بنظره في رجب سنة ٧٩٩هـ/أبريل سنة ١٣٩٧م، فشرع يَلْبُغَا في ذلك، وأقام بظاهر بابه البحري حوانيت يعلوها طباق، وجدد في صحن الجامع بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية، وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء على من يتوضأ من بزابيز من نحاس، ونصب يَلْبُغَا في الجامع منبراً، كما بنى على يمنة المحراب البحري مئذنة، وبنى على بابه مناراً يؤذن عليه، ولم يكن به منارة من قبل، وبيّض الجامع كله، ودهن صدره بلازورد [١] وذهب، وأُقيمت الجمعة الأولى فيه بعد عمارة يَلْبُغَا له في الرابع من رمضان سنة ٧٩٩هـ /الأول من يونية ١٣٩٧م، وظلت الخطبة فيه قائمة حتى أخريات عصر المقريزي [٢].

وقد أُعجب المقريزي بعمارة يَلْبُغَا للجامع الأقمُر وصرح له بذلك، وإن كان قد استدرك عليه في أمرين الأول: تجديد يَلْبُغَا للخطبة في الجامع، لعدم الحاجة إليها، لقرب الخطب منه من جوامع شتى، والثاني : البركة التي استحدثها يَلْبُغَا فيه فقد ضيقت صحنه، ولم تكن هناك حاجة ملحة إليها، لوجود ميضاة بجوار بابه الذي من جهة الركن المخلق، وقد أجاب يَلْبُغَا المقريزي عن الأمر الأول بشأن استحداث الخطبة فيه، بأن خطيب الجامع الأقمر كان يلي في المكانة خطيب الجامع الأزهر في الدولة الفاطمية، فالخطبة فيه قديمة وليست مستحدثة، كما رد السّالميُّ عن الأمر الثاني، وهو استحداث البركة في صحن الجامع، بأن فيها عون للمصلين على الصلاة لقربها منهم، فاقتنع المقريزي برد السّالميُّ على الأمرين وصوب ما قام به [٣].

٣ – نظر يَلْبُغَا السّالميُّ على الخانقاه الشيخونية [٤] وجامعها سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م

ظل يَلْبُغَا السّالميُّ – لحسن نهوضه بما كُلف به – يحوز على ثقة السلطان برقوق حتى أخريات حياته، لذلك عهد إليه – بالإضافة إلى ما بيده من نظري الصلاحية والجامع الأقمر – بنظر الخانقاه الشيخونية

٤١٢، المقريزي: المواعظ والاعتبار ٧٩/٤ ،

(١) اللازورد: من الأحجار الكريمة، لونه أزرق سماوي أو بنفسجي، يستعمل للزينة. المعجم الوسيط ص ٨١٠.

(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٦١٤/٣، ٦١٥، القلقشندي: صبح الأعشى ٤١١/٣ ، ٤١٢، المقريزي: السلوك ٤٠٠/٥، المواعظ والاعتبار ٧٩/٤ ، ٨٠.

(٣) المقريزي : المواعظ والاعتبار ٧٩/٤ .

(٤)الخانقاه الشيخونية: أنشاها الأمير الكبير سيف الدين شيخون سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، وتقع هذه الخانقاه خارج القاهرة تجاه جامع شيخو، وكان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون، فاشتراها الأمير شيخون من أربابها، وهدمها واختط فيها الخانقاه، ورتب بها دروساً للمذاهب الأربعة، ودرساً للحديث النبوي، ودرساً لإقراء القرآن الكريم، ووقف عليها الأوقاف الجليلة، فعظم قدرها واشتهر ذكرها في الآفاق. المقريزي: المواعظ والاعتبار٢٩٢/٤.

وجامعها في شعبان سنة ٨٠١هـ/أبريل ١٣٩٩م، بدلاً من الأمير فارس [١] حاجب الحجاب[٢]، الذي شكاه الصوفية وأرباب الوظائف من المباشرين في الخانقاه إلى السلطان، لتأخر معاليمهم[٣] عدة شهور، فشرع يَلْبُغَا فور توليه نظر الشيخونية في تطبيق سياسته الحازمة، بإخراج كتاب وقفها – كما فعل من قبل في الصلاحية – والعمل بشروط واقفها، فقطع معاليم وأرزاق كثير من صوفيتها، لعدم اتصافهم بشرط الواقف، وضيق يَلْبُغَا على المباشرين في الخانقاه، وألزمهم بعمل حساب الخانقاه وصرف المعاليم بنفسه، ففرح صوفية الخانقاه الشيخونية بنظر يَلْبُغَا لها [٤] .

لم تدم ولاية السّالميِّ لنظر الشيخونية سوى شهور معدودة، حيث دب الشقاق بينه وبين مباشري الخانقاه، لشدة تعامله معهم، وتشديده على مدرسيها وقضاتها، حيث أراد أن يحملهم على مر الحق فنفرت منه القلوب، وخاصة القاضي صدر الدين المناوي [٥] مدرس الشافعية بالخانقاه، والذي نسب إليه السّالميِّ أنه كان ممن ابتهج بموت السلطان برقوق وسجد لله شكراً، مما أوجس القاضي المذكور خيفة من شيوع هذا الأمر عنه، فأسرع إلى شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني

(١) الأمير فارس القطلقجاوي الظاهري سيف الدين، حاجب الحجّاب بالديار المصرية، يعرف بالأعرج، كان من مماليك الأمير خليل الدين بن عرام، ثم اشتراه منه برقوق قبل سلطنته، وكان من شجعان الفرسان الذين يضرب برميهم المثل، قتل في قلعة دمشق ببلاد الشام سنة ٨٠٢هـ/١٤٠٠م هو ومجموعة من الأمراء المتمردين على يد السلطان فرج بن برقوق. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٣/١٤،١٣ .

(٢) حاجب الحجاب: يحتل صاحبها المرتبة الثامنة من وظائف أرباب السيوف، يُطلق عليه حاجب الحجاب، وعلى وظيفته الحجوبية الكبرى، وكانت هذه الوظيفة تعادل أحياناً نيابة السلطنة، ومهامه الفصل بين الأمراء والجند في الخلافات الخاصة بالشؤون الإقطاعية بالتشاور مع السلطان أو نائبه، وإليه تقديم من يعرض ومن يرد وعرض الجند، وقيادة الحملات العسكرية أحياناً. البقلي: التعريف ص ٩٧، العمايرة: المعجم العسكري ص ٩٩.

(٣) المعاليم: جمع معلوم وهو المرتب النقدي الثابت.البقلي: التعريف ص ٣١٧.

(٤) ابن قاضي شهبة: تاريخه ١٦/٤، المقريزي: السلوك ٥/ ٤٣٨، ابن حجر: إنباء الغمر ٢٢/٤، ٢٣ ، ابن إياس بدائع الزهور ج ١ق ٢ ص ٥٢١ .

(٥) صدر الدين المناوي: محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي ثم القاهري، ولد سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م، وكان أبوه نائباً في القضاء عن عز الدين بن جماعة، فنشأ المناوي في حجر السعادة، فسمع وحفظ وحصل وناب في القضاء وهو شاب، وأفتى وولي إفتاء دار العدل والتدريس في الشيخونية والمنصورية، كما ولي القضاء استقلالاً، وكان معظماً عند الخاص والعام، محبباً إليهم، سافر مع السلطان فرج بن برقوق لقتال تيمورلنك في بلاد الشام، فأسر ووقع في أيدي أعدائه، ومات غريقاً في نهر الفرات في شوال سنة ٨٠٣هـ/مايو ١٤٠١م. ابن حجر : إنباء الغمر ٣١٥/٤ – ٣١٧.

وبثه شكواه وضعف حاله تجاه اتهام السّالميّ له، وكان القاضي البلقيني قد شعر بشيء من الجفوة من السّالميّ عقب تشفعه في العبادي، في الواقعة السالف ذكرها، فجمعت عداوة السّالميّ بين البلقيني والمناوي، فشرعا في الطواف على الأمراء وتحريضهما على السّالميّ، كما أفتي البلقيني لصوفية الخانقاه الصلاحية بأن من قُطع معلومه منها فليرجع على السّالميّ من ماله دون مال الوقف، كما ألب المناوي صوفية الشيخونية على الشكوى من السّالميّ، وأثمرت جهودهما في النيل من الرجل وتشويه صورته، حتى اضطر السلطان فرج لعزله من نظر الشيخونية وجامعها واستقر بالأمير أرغون [١] شاه البيدمري مكانه في ذي القعدة سنة ٨٠١هـ/يولية ١٣٩٩م [٢].

تلك كانت أهم الجهود التي قام بها يَلْبُغَا السّالميّ في مجال عنايته وتنظيمه لبعض مشكلات هذه المنشآت الدينية التي تولى نظرها، ولاغرو في أن الرجل أبلى في مهمته بلاءً حسناً، ونجح في حل مشكلات صوفية الصلاحية والشيخونية بصورة راقت لهم، كما عمر الجامع الأقمر عمارة أعادت له رونقه، وجدد الخطبة فيه، بيد أن محاولات يَلْبُغَا حمل مباشري الشيخونية على مر الحق، والالتزام بكتاب وقفها نفرهم منه، وجعلهم يتلمسون الأسباب الواهية للتخلص منه حتى تم لهم ذلك، ليواصل يَلْبُغَا جهوده في مجال آخر سطره له التاريخ وهو .

ثانياً: الجهود المالية والاقتصادية ليَلْبُغَا السّالميّ ٨٠١ - ٨٠٦هـ/١٣٩٩-١٤٠٤م.

كان للأمير يَلْبُغَا السّالميّ جهود محمودة وآثار ناجعة في النشاط الاقتصادي والمالي للدولة المملوكية، ينم عن إدراكه لكثير من المشكلات المعضلة التي كانت الدولة تواجهها حينئذ، وتمثلت جهوده فيما يلي :

١- ضبط يَلْبُغَا السّالميّ لقيمة الوارد لديوان المرتجع [٣] سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م.

---

(١) أرغون شاه البيدمري الظاهري، أشتراه برقوق وجعله ساقياً، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة في سلطنته الثانية بعد خروجه من الكرك سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م، ثم جعله أمير طبلخاناه، ثم واحداً من رؤوس النوب، ثم أمير مائة مقدم الف، وأخيراً جعله أمير مجلس، وظل أرغون عليها حتى وفاة برقوق، وفي عهد ولد فرج كان أرغون ممن عصى عليه مع الأمير الكبير أَيْتَمُشْ البجاسي سنة ٨٠٢هـ/١٤٠٠م وخرجوا إلى الشام، ولما انهزم هؤلاء الأمراء من فرج فيها قبض عليهم فرج، وقتل معظمهم في قلعة دمشق في شعبان سنة ٨٠٢هـ/مارس ١٤٠٠م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي ٣١٣/٢ - ٣١٤.

(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٢٦/٤، المقريزي: السلوك ٤٥٦/٥، ابن حجر: إنباء الغمر ٣١/٤ ،٣٢.

(٣) ديوان المرتجع : هو الديوان الذي بشرف على الإقطاعات الشاغرة، التي انتقلت عن أصحابها لسبب ما وعادت إلى الدولة ولم تقطع لغيره بعد، ويختص ناظره بمحاسبة الأمير المعزول أو المنقول عن إقطاعه، والتحدث على ما يرتجع ممن يموت من الأمراء، وتعطل هذا الديوان وناظره في عهد قلاوون، وصار أمر

أسهم الأمير يَلْبُغَا السّالميُّ في وضع حل ناجع لمشكلة مالية تفاقمت في مطلع عصر السلطان فرج بن برقوق، بعد القبض على عدد من كبار الأمراء وعزلهم من وظائفهم وحبسهم [١]، وهي قضية المال الذي يؤول إلى ديوان المرتجع بعد القبض على الأمير أو عزله أو موته، فقد كان المباشرون في دواوين هؤلاء الأمراء يلقون شدة وجوراً من مستوفي المرتجع، ويعانون أشد المعاناة في الوفاء بما يُطلب منهم من الأموال، فتفتق ذهن السّالميُّ عن حل عادل لهذه المشكلة، تمثل في أن يكون مقدار المرتجع يتناسب مع رتبة الأمير وغناه وفقره، فيُفرض على الأمير المقدم خمسين ألف درهم، وتقل هذه الأموال تدريجياً، حتي يصل ما يُفرض على أمير خمسة ألفين وخمسمائة درهم [٢].

عرض يَلْبُغَا اقتراحه على الأمير الكبير أَيْتَمُشْ القائم بتدبير دولة الناصر فرج في شوال سنة ٨٠١هـ/يونية ١٣٩٩م، فرحب به ووافق عليه، وكتب يَلْبُغَا بذلك مرسوماً سلطانياً حُفظ في الدواوين المملوكية، واستقر العمل به طيلة عصر السلطان فرج بن برقوق، ولقى هذا العمل ترحيباً وقبولاً ملفتاً للنظر من جانب الأمراء أو المباشرين على السواء، فقد أصبح هناك مقدار معين ومعلوم من مال المرتجع تحوزه الدولة من الأمير إذا ما نُكب أو مات أو عُزل، يتوقف على رتبة الأمير وغناه، وعد المؤرخون هذا العمل من محاسن الأمير يَلْبُغَا السّالميُّ وأعماله التي بذ فيها معاصريه[٣] .

٢- إبطال يَلْبُغَا السّالميُّ لبعض المكوس الجائرة سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م.

استهل الأمير يَلْبُغَا السّالميُّ ولايته الأولى للأستادارية في ذي الحجة سنة ٨٠١هـ/أغسطس ١٣٩٩م بالتصدي لبعض المظالم المالية الجائرة في طول البلاد وعرضها، حيث وجد يَلْبُغَا أن حصيلة بعض هذه المكوس الجائرة بالسلطنة تبلغ في كل يوم بضعاً وسبعين ألف درهم، لايدخل لخزانة الدولة منها إلا النذر اليسير، وإنما ينتفع بها المباشرون القبط ومن يعاونهم من حواشيهم، لذلك عزم يَلْبُغَا على إبطالها، ونجح في ذلك طيلة فترة ولايته للأستادارية [٤]، ومن أهمها

هذا المرتجع منوطاً بمستوفي المرتجع، وهو الذي يحكم في القضايا الديوانية، ويفصل فيها ويشرف على الترتيبات الخاصة بإعادة الإقطاعات لمستحقيها من جديد. القلقشندي: صبح الأعشى ٣٤/٤، البقلي:التعريف ص ١٤٧، ١٤٩، العمايرة : المعجم العسكري ص١٢١، ٢٨٠.

(١) تم الحديث بالتفصيل عن هذه الواقعة في المبحث الأول .

(٢) المقريزي: السلوك ٤٥٣/٥، ابن حجر: إنباء الغمر ٣٠/٤، ٦/ ١٣٤، السخاوي: الضوء اللامع ١٠/ ٢٨٩ .

(٣) المقريزي: درر العقود ٥٤٤/٣، ابن حجر: إنباء الغمر ٣٠/٤، ٦/ ١٣٤، السخاوي: الضوء اللامع ١٠/ ٢٨٩ .

(٤) المقريزي: المواعظ والاعتبار ٢٠٠/١.

ما يلي :

أ – أبطل يَلْبُغَا السَّالميُّ ضمان[١] العرصة[٢]، وأخصاص الغسالين[٣] وتعريف الغلال بمنية بني خصيب [٤]، وكانت من المظالم القبيحة، وكتب بذلك مرسوماً سلطانياً بعثه إلى والي الأشمونين [٥]، ينص على إبطال هذه المظالم في سواحل البلاد والمنية المذكورة، كم أمر يَلْبُغَا بنقشه على باب مسجدها الجامع، ومن ثم بطلت هذه المظالم طيلة فترة ولايته للأستادارية [٦].

ب– أبطل يَلْبُغَا السَّالميُّ وفر الشون السلطانية، وكان مقداره في السنة آلاف الأرادب، وكسر الويبة [٧] التي يكال بها وعمل ويبة صحيحة، فقد كان عمال الدولة في الشون يقبضون الغلال من الناس بويبة تامة كاملة، ثم يصرفون لهم الغلال بويبة ناقصة، ثم بعد ذلك يُطلب من مباشري الشون وفر الغلال الذي يبلغ في العام آلاف الأرادب، فبطل ذلك في ولاية السَّالميُّ للأستادارية ثم أُعيد من بعده [٨].

جـ – أبطل يَلْبُغَا السَّالميُّ المقرر على البرددار [٩] – حاجب الديوان المفرد – وهو في كل شهر سبعة آلاف درهم، وكذلك المقرر على مقدم المستخرج [١٠]، وهو في كل شهر ثلاثة آلاف درهم من المشاهرة [١١] التي

(١) الضمان: مفردها ضامن، ومعناه الملتزم الذي يتولى لحسابه جمع ضريبة من الضرائب، أو مكس من المكوس التي يفرضها السلطان، ويضمن في مقابل توليه ذلك مبلغاً معيناً من المال يدفعه إلى الجهة المختصة في أوقات منتظمة كل سنة. البقلي : التعريف ص ٢٢٥ .

(٢) العرصة:هي البقعة الواسعة من الأراضي بين الدور التي لا بناء فيها. المعجم الوسيط ص ٥٩٣.

(٣) أخصاص: جمع خص وهو بيت من شجر أو قصب، والمقصود بها الأخصاص المخصصة لغسل أقمشة الناس. المعجم الوسيط ص ٢٣٨.

(٤) منية بني خصيب: مدينة من عمل الأشمونين. القلقشندي : صبح الأعشى١٤/٤١٩.

(٥) الأشمونين: عمل واسع يقع جنوبي عمل البهنسا، ومقر الولاية فيه مدينة الأشمونين، التي تقع غربي النيل،. ياقوت: معجم البلدان ١/٢٠٠، القلقشندي : صبح الأعشى٣/٤٥٢.

(٦) المقريزي: السلوك ٥/٤٥٩، المواعظ والاعتبار ١/٢٠٠، ابن إياس: بدائع الزهور ج ١ق ٢ ص ٥٤٨

(٧) الويبة: مقدارها ستة عشر قدحاً بالمكاييل المصرية، أي كيلتان أو سدس أردب. عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية ص ٦٣٠.

(٨) المقريزي: درر العقود ٣/٥٤٥، المواعظ والاعتبار ٤/٨٢، ابن إياس: بدائع الزهور ج ١ق ٢ ص ٥٤٨.

(٩) البرددار: هو الذي يكون في خدمة مباشري الديوان في الجملة متحدثاً عن أعوانه والمتصرفين فيه . البقلي : التعريف ص ٦٢.

(١٠) المستخرج: عبارة عن الأموال المتأخرة على الناس، والتي تستخرج منهم عن طريق الضرب والتعذيب، ويختص بهذا ديوان المستخرج. دُوزِي: تكملة المعاجم العربية ٤/.

(١١) المشاهرة: إحدي المكوس التي فرضت على الباعة، مما كان سبباً لجورهم ورفع الأسعار، بحجة أن عليهم مالاً يدفع شهرياً للسلطان. دهمان : معجم المصطلحات ص ١٣٩.

تتحصل من المصادرة، وألزمهما السّالميُّ بترك ذلك، ورفع الظلم عن الناس كافة، فبطل ذلك في أيام ولايته للأستادارية، ثم أُعيد من بعده، وزادت الدولة في مقداره [١].

د – أبطل يَلْبُغَا السّالميُّ السمسرة التي كان سماسرة الغلال بساحل النيل يأخذونها من المشتري، وهي عن كل أردب [٢] وكيالته ولواحته درهمين، بعدما كان ربع درهم، وألزمهم السّالميُّ ألا يأخذوا عن كل أردب سوى نصف درهم، وشدد عليهم وهدد من يخالف ذلك بالعقوبة والغرامة، فكثر دعاء الناس وأهل الخير له، وعُمل بهذه القواعد في أيام ولايته للأستادارية، وبعد عزله عاد الأمر لسابقه، وتفاقم ظلم السماسرة حتى صار يُؤخذ عن الأردب الواحد سمسرة عشرة دراهم أو تزيد[٣]

٣ – جهود يَلْبُغَا السّالميُّ في النظام النقدي ٨٠١ – ٨٠٦هـ/١٣٩٩-١٤٠٤م.

من الجهود المهمة التي قام بها يَلْبُغَا السّالميُّ إبان ولايته الأولى للأستادارية ضربه للدينار[٤] السّالميُّ في جمادى الأولى سنة ٨٠١هـ/يناير١٣٩٩م، حيث عزم يَلْبُغَا على إبطال التعامل بالدنانير الإفرنتية [٥]، فأمر بجمع ما هو موجود منها في الأسواق، وضربها دنانير ذهبية خالصة، زنة الواحد منه مثقال [٦] تام، ومنقوش عليها بالسكة

(١) المقريزي: درر العقود ٥٤٥/٣، ابن حجر: إنباء الغمر ٣٥/٤، ابن إياس: بدائع الزهور ج ١ق ٢ ص ٥٤٨ .

(٢) الأردب مكيال مصري يساوي اثني عشرة كيلة، أي ستة وتسعين صاعاً أو قدحاً. عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية ص ٤٠.

(٣) المقريزي: درر العقود ٥٤٥/٣، ابن حجر: إنباء الغمر ٣٦/٤، ابن إياس: بدائع الزهور ج ١ق ٢ ص ٥٤٨ .

(٤) الدينار: لفظ فارسي معرب والجمع دنانير، نقد ذهبي مدور اختلفت موازينه وقيمته وجودته ونسبة الذهب فيه باختلاف الزمان والمكان، وتعددت إضافاته في التسمية لأماكن ضربه وأسماء ضاربيه، وشرعاً هو اسم لمثقال من ذلك الذهب المضروب، ووزنه الشرعي أربعة وعشرون قيراطاً، والقيراط ثلاث حبات من وسط الشعير، فوزن الدينار ثنتان وسبعون حبة من حبات الشعير، وكل سبعة دنانير تساوي عشرة دراهم وزنا. القلقشندي: صبح الأعشى ٥٠٦/٣، عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية ص ٢٢٥ ، ٢٢٦.

(٥) الدنانير الإفرنتية: هي الدنانير المجلوبة من بلاد الإفرنج – أوربا – كالإفرنتية والأفلورية والبندقي والدوكات، ولم يعرف التعامل بها في مصر قديما، وإنما كان ظهورها في سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م، وكثرت في أيدي الناس حتى صارت نقداً رائجاً، ووزن كل مائة دينار منها واحد وثمانون مثقالاً، وسعر الدينار منها يقل عن الدينار الرسمي المسكوك بواسطة الدولة المملوكية. القلقشندي: صبح الأعشى ٥٠٧/٣، ٥٠٨، المقريزي:السلوك ٣٧٩/٦، عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية ص ٢٢٦.

(٦) المثقال: وحدة وزن أُختلف في مقداره زمناً ومكاناً، لكنه أطلق على ما يكون موزونه قطعة ذهب مقدرة بأربعة وعشرين قيراطاً، والقيراط

الإسلامية، وظهرت الدنانير السِّالميُّة في أسواق القاهرة في جمادى الآخرة من السنة ذاتها ٨٠١هـ/فبراير ١٣٩٩م، ولدقة وزنها وثباته وجودتها حازت على ثقة الناس، وراج التعامل بها عدداً لا وزناً، وظلت بأيدي الناس حتى سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م ،حينما أمر السلطان فرج بضرب دينار الناصري فقل السِّالميُّ بأيدي الناس [١].

كما أمر يَلْبُغَا السِّالميُّ في رجب من العام نفسه ٨٠٣هـ/فبراير ١٤٠١م بضرب فئات أقل وزناً من الدينار السِّالميُّ، ما بين عشر الدينار حتى تسعة أعشاره وربع ونصف، حتى يسهل على الناس التعامل بالذهب لشراء احتياجاتهم اليومية بالتوازي مع الفلوس[٢] النحاسية، التي راجت حينئذ حتى صارت هي النقد الرائج في المعاملات لشراء السلع اليومية الدارجة، وتقييم أجر الأعمال، وكان كل أربعة وعشرين فلساً من هذه الفلوس النحاسية تحسب بدرهم [٣] من الفضة، التي صارت يومئذ عزيزة الوجود، لقلتها بين يدي الناس، بسبب استخدام الأغنياء لها كأواني للطعام والشراب أو الحلي، حتى صار الدرهم الفضي يصرف بدرهم ونصف من الفلوس أي بست وثلاثين فلساً [٤].

يزن ثلاث حبات من الشعير، فالمثقال يزن ثنتين وسبعين حبة من الشعير المتوسط، ووزن المثقال حالياً يتراوح ما بين ٤،٩ إلى ٥,٨ جرام، ويرجع سبب التفاوت في وزن المثقال إلى التفاوت في وزن حبة الشعير المقصوده.القلقشندي: صبح الأعشى ٥٠٦/٣، عمارة: قاموس المصطلحات ص ٥١٠، ٥١١.

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخه ١٦٩/٤، ١٨٠، القلقشندي: صبح الأعشى ٥٠٦/٣، المقريزي: السلوك ٤٧/٦، ٢٧٩.

(٢) الفُلُوس: واحدها فلس، وهي النقود زهيدة القيمة الرخيصة المعدن التي يتعامل الناس بها من غير الذهب والفضة، كالنحاس المخلوط بالفضة المسكوكة بالسكة، ظهرت في مصر سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، وتعامل الناس بها، وكان الدرهم يساوي ستة عشر فلساً، وفي سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م ضربت فلوساً جديدة كان زنة كل فلس مثقال واحد، أما الفلوس الموزونة فقد ظهرت في عهد الناصر محمد بن قلاوون حيث أمر بالمناداة بأن يكون التعامل بالفلوس وزناً، والرطل منها بدينارين، وضربت فلوساً زنة الفلس درهم، وما زال يتناقص وزنها حتى صار وزن الفلس ربع درهم بعد أن كان مثقالاً. عاشور: العصر المماليكي ص ٤٤٤، عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(٣) الدرهم : لفظ فارسي معرب، والجمع دراهم، اسم للنقد المضروب من الفضة، كان وزنها على عهد الرسول سبعة أعشار المثقال، أي سبعون شعيرة، فكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل، واختلفت مقادير وزن الدرهم زماناً ومكاناً، وتعددت إضافته إلى متولي ضربه أو أماكن ضربه أو نقاء معدنه أو قيمته، فشهد التاريخ الإسلامي منها أنواعاً كثيرة. عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية ص ٢١٤.

(٤) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٣٣٩/٤، القلقشندي: صبح الأعشى ٥٠٧/٣، المقريزي: السلوك ٥٦،٧/٦ /٢٨٦، ٢٨٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٥٠/١٢.

ونظراً لتفاقم مشكلة التعامل بالفلوس النحاسية عدداً بين الناس، لعدم وجود ضوابط لدقة وزنها، والتلاعب المستمر فيها، حتى وصل وزن الفلس الواحد منها خروبتين[١]، مما دفع بعض الناس إلى التعنت في التعامل بها، لذلك أمر يَلْبُغَا السّالميُّ إبان ولايته الثانية للأستادارية في المحرم سنة ٨٠٦هـ/يولية ١٤٠٣م، بالمناداة بين الناس كافة بالتعامل بالفلوس النحاسية وزناً لا عدداً، للقضاء المبرم على ما اعترى التعامل بها من تفاوت وفساد، كما حدد السّالميُّ سعر الرطل[٢] من الفلوس بستة دراهم، والقنطار[٣] منها بستمائة درهم، فرد بذلك سعر الفلوس إلى الوزن لا إلى العدد، ففرح الناس بقرار السّالميُّ فرحاً شديداً، بعد أن أراحهم من اختلاف كبير وضرر عظيم في أمر التعامل بها، وهو الأمر الذي حدا بالمؤرخين إلى عد هذا العمل من محاسن يَلْبُغَا السّالميُّ وجهوده الناجعة [٤] .

ولم تقف جهود يَلْبُغَا السّالميُّ خلال ولايته للوظائف المختلفة في الدولة المملوكية في المجال النقدي على ضرب الدينار السّالميُّ وفئاته المختلفة، أو تحديده لسعر الفلوس النحاسية وجعله وزناً لا عدداً، بل كان للرجل جهد مشكور في ضبط سعر صرف الدينار في مقابل الدرهم، للحيلولة دون ارتفاع سعره، مما يؤدي إلى التضخم وزيادة أسعار السلع، فأمر السّالميُّ في شوال سنة ٨٠٥ هـ/أبريل ١٤٠٣م بالمناداة بين الناس كافة بأن يكون سعر صرف الدينار المختوم- الرسمي- بستين درهماً، ونظيره الإفرنتي بخمسة وأربعين درهما، بعد أن تجاوز الدينار المختوم سبعين درهماً من قبل [٥]

كما أمر يَلْبُغَا السّالميُّ بعد تعيينه مشيراً للمرة الثانية في شوال سنة ٨٠٧هـ/أبريل ١٤٠٥م بتحديد سعر صرف الدينار المختوم بمائة درهم بعد أن تجاوز مائة

(١) الخروبة: هي القطعة النقدية الصغيرة، قيمتها جزء من عشرين من الدينار، كانت تضرب بمصر في العصر الفاطمي لتوزع في الاحتفالات، ولقد تفاوتت قيمتها واختلف معدنها زمناً ومكاناً. عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية ص ١٩١.

(٢) الرطل: وحدة وزن اختلفت مقاديره زماناً ومكاناً باختلاف الموزون به، وهو يساوي الآن ثنتي عشرة أوقية، زنة كل أوقية اثني عشر درهما، أي أن الرطل يساوي مائة وأربعة وأربعين درهماً. عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية ص ٢٥٠.

(٣) القنطار: وحدة وزن تفاوتت مقاديره زماناً ومكاناً، فهو في مصر يساوي مائة رطل، والرطل يساوي اثنتي عشرة أوقية، والأوقية تساوي اثني عشر درهما، والدرهم يساوي ستة عشر قيراطاً، والقيراط يساوي ٣,١٢ جراماً. عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية ص ٤٦٨.

(٤) المقريزي: السلوك ٩٧/٦، ٢٧٩، ابن حجر: إنباء الغمر ١٣٤/٦، ذيل الدرر الكامنة ص ٢٢، ابن إياس بدائع الزهور ج ١ق ٢ ص ٦٧٩ .

(٥) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٣٠٩/٤، المقريزي: السلوك ٩٠/٦.

وثلاثين درهماً، كما حدد سعر الدينار الأفرنتي بثمانين درهماً، كما اتجه بجهوده إلى الفلوس النحاسية، فجعل سعر صرف القنطار منها بستمائة درهم بعدما كان بخمسمائة، فترتب على هذا التغيير في سعر صرف النقد إصابة الناس بشيء من الاضطراب والاختلاف لخفض قيمة الدينار، ورفع سعر الفلوس، فخسر بعضهم وربح الآخرون، مما أدى لتذمر الأول ونقمتهم على السّالميِّ، بيد أنهم سرعان ما تجاوزوا الأمر، واعتادوا على أسعار الصرف الجديدة التي حددها السّالميِّ ، واستقر التعامل بها (١).

وأدرك يَلْبُغَا السّالميِّ بثاقب بصره بعد الإجراءات الأخيرة لتنظيم سعر صرف النقد، أن تخفيض سعر الدينار قد يؤدي إلى ارتفاع أسعار السلع، فتضيع جهوده التي بذلها لضبط سعر الصرف هباءً، لذلك أمر السّالميِّ التجار بربط سعر المبيعات بالدينار، فما كان سعره دينار قبل تغييره لسعر الصرف، يباع بدينار بعد تحديده الجديد لسعره، للحيلولة دون ارتفاع أسعار السلع وحدوث التضخم، وانخفاض القيمة الشرائية للدينار بعد خفض سعر صرفه في مقابل الدرهم (٢).

وظل يَلْبُغَا السّالميِّ حتى الأيام الأخيرة من ولايته للإشارة، وقبل القبض عليه في ذي الحجة سنة ٨٠٧هـ/مايو ١٤٠٥م، يحمل هم الشؤون النقدية للبلاد، ويحاول السيطرة على ارتفاع سعر صرف الدينار، حتى كان ما كان (٣) من الأمر بالقبض عليه وسجنه (٤).

مما سبق عرضه يتبين للقارئ أن يَلْبُغَا السّالميِّ كانت له جهود محمودة في المجال الاقتصادي والنقدي للدولة المملوكية، بحله الناجع وتحديده لقيمة المرتجع التي تحوزه الدولة من الأمير بعد عزله أو موته، وفقاً لرتبته وغناه أو فقره، ثم بإبطاله لجملة من المكوس الجائرة، التي أثقلت كواهل العامة، ولم تستفد الدولة منها شيئاً، الأمر الذي راق لمعاصريه فأثنوا عليه خيراً، واستبشروا بولايته للأستادارية، ثم كان خاتمة جهوده في هذا المجال بضربه للدينار السّالميِّ كامل الوزن، والذي حاز على ثقة الناس، فراج التعامل به عدداً لا وزناً، وكذلك مواجهته لمشكلة الفلوس النحاسية، وما اعتراها من فساد لاختلاف وزنها، ونجاحه في القضاء المبرم على هذه المشكلة، بجعل قيمتها وزناً لا عدداً، وكذلك متابعة السّالميِّ الدؤوبة لأسعار صرف أنواع النقد في مقابل بعضها بعضاً، والحد من ارتفاع أسعارها، وكذلك حرصه عند القيام بهذا الإجراء في الحفاظ على ثبات قيمة السلع عند خفضه لسعر صرف الدينار،

---

(١) المقريزي: السلوك ١٢٦/٦، ابن إياس: بدائع الزهور ج ١ق ٢ ص ٧١٥ .

(٢) ابن قاضي شهبة: تاريخه ٤١٤/٤، المقريزي: السلوك ١٢٦/٦، ابن إياس: بدائع الزهور ج ١ق ٢ ص ٧١٥ .

(٣) تحدث الباحث عن هذه الواقعة في المبحث الأول .

(٤) المقريزي: السلوك ١٣٠/٦، ابن حجر: إنباء الغمر٢١٩/٥، ٢٢٠.

للحيلولة دون ارتفاع أسعار السلع وحدوث التضخم .

ثالثاً: الجهود الشرعية ليَلْبُغَا السّالميِّ سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من جهود محمودة ليَلْبُغَا السّالميِّ، كان للرجل حضور آخر في المجال الشرعي، ومكافحة الرذائل والمنكرات، وقد كان ذلك انعكاساً طبعياً لصفاته الشخصية والخلقية، وتأثره بما درس من العلوم وحصّل، واتساقاً مع ما اتصف به من صفاء سريرته، ونقاء صفحته، وسلامة طويته، ذلك الذي تمثل في قيامه بما يلي :

١- محاربة يَلْبُغَا السّالميِّ للخمر وصناعتها سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م .

من الأعمال الجليلة التي نهض بها يَلْبُغَا السّالميِّ إبان ولايته الأولى للأستادارية مواجهته لأم الخبائث، حيث انتهز يَلْبُغَا فرصة خروج السلطان فرج إلى بلاد الشام لمحاربة تيمورلنك، فهجم هو ورجاله في جمادى الأولى سنة ٨٠٣هـ/يناير ١٤٠١م على أماكن صناعة الخمر في شبرا الخيام [١] ومنية الأمراء [٢]، حيث كان أهلها مشهورين بعصر الخمر وبيعه، من غير أن يستطيع أحد الإنكار عليهم في ذلك، لكونهم من بلاد الديوان المفرد الخاص بالسلطان، وخراج منطقتهم لا يكتمل في كل عام إلا من صناعة الخمر وبيعها، وحطم يَلْبُغَا وأتلف في هجومه المباغت هذا على المنطقتين ما يزيد على خمسين ألف جرة خمر، وعاد في آخر يومه ومعه من جرار الخمر أحمالاً كثيرة، فكسرها تحت القلعة، وبلغ جملة ما أتلفه وحطمه في يومه هذا نحو سبعين ألف جرة، وكان هجوم يَلْبُغَا على الخمور وأماكن صناعتها وبيعها بمثابة ضربة قاضية لأهل شبرا ومنية الأمراء، حيث كانت معظم ثرواتهم وأموالهم من عصر العنب خمراً وبيعه، فقلت الخمور فيهما من يومئذ، واضمحلت أحوالهم الاقتصادية، وتحولوا من الغنى الفاحش إلى الفقر المدقع [٣].

---

(١) شبرا الخيام: أو الخيمة، ضاحية من ضواحي القاهرة، تقع بين منية الإصبع ومنية السيرج ودمنهور شبرا المجاورة لشبرا الخيم من الجهة البحرية، سميت بذلك لأن الناس كان يحتفلون سنوياً فيها بذكرى عيد الشهيد – على زعمهم – في خيام ، ينصبونها على شاطئ النيل بشبرا هذه. محمد رمزي: القاموس الجغرافي القسم الثاني، الجزء الأول ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) منية الأمراء: سُميت بذلك لكثرة من سكنها منهم، مكانها على شاطئ النيل في طريق الإسكندرية على مسافة فرسخ من القاهرة، وفي سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م امتد طمي الخور الذي كان يفصلها عن جزيرة الفيل واتصل بشاطئ النيل، وبذلك أصبحت مساكن المنية في وسط الأرض الزراعية، واشتهرت بمنية السيرج حيث كانت بها معاصر للسمسم الذي يستخرج من زيت السيرج. المقريزي: المواعظ والاعتبار٣/٢٣٣،٢٣٢، محمد رمزي: القاموس الجغرافي القسم الثاني الجزء الأول ص ١٤، ١٥.

(٣) المقريزي: السلوك ٣٩/٦،درر العقود ٥٤٥/٣، ابن إياس: بدائع الزهور ج ١ق ٢ ص ٥٩٤

٢- محاولة يَلْبُغَا السَّالميِّ إلزام النصارى بأحكام الشرع سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م.

ترتب على نجاح يَلْبُغَا السَّالميِّ في محاربته لأم الخبائث، والقضاء على أماكن صناعتها وتجارتها، وإنزال ضربته بالقائمين عليها، تشجيع يَلْبُغَا للقيام بعمل آخر ضدهم في الشهر نفسه جمادى الأولى سنة ٨٠٣هـ/يناير ١٤٠١م، وهو محاولة إلزام النصارى بأحكام الشرع، وإعادتهم إلى ما كان مفروضاً عليهم في العهدة العمرية، وإلزامهم بلباس يميّزهم عن المسلمين، فأمر يَلْبُغَا السَّالميِّ بالمناداة في شوارع مصر والقاهرة بقراراته تلك، بيد أن الأمير تمراز نائب الغيبة وكبار الأمراء يومئذ رفضوا هذه القرارات، لتعارضها مع روح الإسلام في تعامله مع أهل الذمة من جهة، ومراعاة لعمالهم ومباشريهم من الأقباط من جهة ثانية، لذلك أمر الأمير تمراز بالمنادة بإبطال قرار السَّالميِّ ، وأن حقوق القبط باقية كما كانت من ذي قبل[١]، واستلفتت هذه الواقعة نظر المؤرخ ابن تغري بردي [٢] فأثنى على السَّالميِّ في قراره هذا نحو الأقباط بقوله :" لوعاش – يَلْبُغَا – لكان أفنى الأقباط وأبادهم، فوا أسفا على واحد آخر مثل هذا يكون في زماننا، الملوك بيد الأقباط".

وبالرغم من حسن نية يَلْبُغَا السَّالميِّ فيما فعله، ودفاع ابن تغري بردي عنه، بيد أن كليهما جانبه الصواب، فمن المسلم به أن شخصية السَّالميِّ الحازمة، وورعه وتقواه كانت دافعاً له للقيام بهذه الإجراءات الشرعية، وكان من المقبول أن يقوم السَّالميِّ بالعمل الأول ضد الخمور وصانعيها، خاصة وقد منحه السلطان عند خروجه لقتال تيمورلنك صلاحيات واسعة للنظر حتى في الأمور الشرعية، فاغتنم يَلْبُغَا هذه الفرصة التي واتته، وأنزل ضربته القاصمة بأم الخبائث وصانعيها وجلهم من القبط، ثم عرج الرجل في الشهر نفسه لاستكمال جهوده الشرعية ضد ما عدّه تجاوزاً من النصارى، وردهم لشروط العهدة العمرية، فأصاب السَّالميِّ في الأمر الأول وحالفه التوفيق، وجانبه الحق في الأمر الثاني، لبعد ما قام به عن أحكام الشرع الحنيف، وعن العهده العمرية التي فحواها احترام عقائد أهل الكتاب، وعدم التعرض لهم في شعائرهم، أو التضييق عليهم فيها، مما أدي لوقوف نائب الغيبة في وجهه، وإبطال قراره الثاني بشأن القبط، بالرغم من عدم معارضته له في الأمر الأول البتة.

تلك كانت أهم الجهود التي نهض بها يَلْبُغَا السَّالميِّ خلال فترة ولايته للوظائف، تلك التي لم تزد على عقد من الزمان، بيد أنها كانت جهوداً ناجعة لمشكلات متفاقمة في أكثر من مجال من مجالات الحياة، سواء أكانت في نظره على بعض المنشآت الدينية وحل مشكلاتها أهلها، أم اقتصادية وعلاجه لمشكلة المرتجع وإبطاله للمكوس الجائرة، أو ترك

٥٩٥،

(١) المقريزي: السلوك ٤٦/٦، ٤٧، ابن حجر: إنباء الغمر ٢٢٥/٤، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٧٦/١٢.

(٢) المنهل الصافي ١٢/ ١٧٦.

بصمة واضحة له في المجال النقدي بضرب الدينار المنسوب له، أم الجهود الشرعية والتي كان ذروة سنامها منافحته لأم الكبائر، وإعفاء أثرها من أكبر منطقتين لعصرها في مصر، ولا ريب في أن هذه الجهود الناجعة ليَلْبُغَا السّالميِّ قد خففت عن عوام المصريين أعباءً ثقالاً، فأثنوا على الرجل خيراً في حياته، كما استلفتت هذه الجهود أنظار المؤرخين، فاشادوا بها وبمردودها على الناس في ثنايا مؤلفاتهم، لتكون هي مسك الختام لحياة هذا الأمير.

خاتمة

بعد هذا الاستعراض لموضوع "الأميرُ المملوكي يَلْبُغَا السّالميُّ، حياتهُ وجهودهُ ت٨١١هـ/ ١٤٠٨م ". يُجمل الباحث أهم النتائج التي استخلصها من خلال دراسة لهذا الموضوع وهي ما يلي:

أولاً: أثبت يَلْبُغَا السّالميِّ منذ فجر شبابه جدارة في القيام بالمهام والوظائف التي أُوكلت إليه، وهو ما راق للسلطان برقوق، فجعله واحداً من مجلس الأوصياء العشرة على ولده فرج، وهو ما زال في ميعة الصبا، كما كان ليَلْبُغَا السّالميِّ جهد مشكور في النظر على المنشآت الدينية الثلاث التي تولى نظرها، في عهد الظاهر برقوق، فلم تأخذه في الله لومة لائم، فالتزم بتطبيق شروط واقفيها، وخاض مع صوفيتها المنتفعين بها من دون وجه حق صراعاً، أيده فيه قضاة الشرع، وكُتب له النجاح على خصومه، بيد أن شدة يَلْبُغَا السّالميِّ أحياناً في التعامل مع بعض مباشري الخوانق، دفعتهم للمكر به، ومحاولة تشويه صورته، مما كان سبباً لعزله منها. وبالرغم من ذلك ظل يَلْبُغَا يحوز على ثقة سلفه السلطان فرج في معظم الأحايين، بيد أن منافسة نظرائه له على هذه الوظائف، أطاحت به منها غير مرة، وإن كان يَلْبُغَا السّالميِّ لمكانته، وحسن نهوضه بمهام وظائفه، سريعاً ما يسترد ثقة السلطان فيه، فيعود لتقلد وظائفه.

ثانياً: كان ليَلْبُغَا السّالميِّ أثر مشهود في الحياة الاقتصادية والمالية للدولة المملوكية،

بضربه للدينار السّالميّ كامل الوزن، الذي حظي بثقة الناس فراج التعامل به عدداً، كما بذل جهوداً محمودة في القضاء على مشكلة التعامل بالفلوس النحاسية غير منضبطة الوزن، فجعل التعامل بها وزناً لا عدداً، الأمر الذي أزاح عن كاهل الناس عبء ثقيل في التعامل بها، كما حرص يَلْبُغَا السّالميّ على مراقبة أسعار صرف العملات مع بعضها بعضاً، للحيلولة دود زيادتها بصورة غير مقبولة، مما يؤدي لانخفاض القيمة الشرائية لها، وحدوث التضخم في أسعار السلع، كما كان ليَلْبُغَا السّالميّ جهد مشكور في الجانب الشرعي، بمنافحته لأم الخبائث، وإعفاء أثرها، بالقضاء على أماكن صناعتها وتجارتها، لتخليص الناس من رجسها، ومحاولة إلزام النصارى بأحكام الشرع الحنيف والعهدة العمرية.

ثالثاً: ثبت من خلال دراسة موضوع هذا البحث، أن جهود يَلْبُغَا السّالميّ بصفة عامة، كانت انعكاساً واضحاً لشخصيتة الورعة التقية النقية، تلك التي جمعت من الصفات أجملها، ومن العلوم أفضلها، ومن الاجتهاد في العبادة ما يُضرب به المثل، بيد أن مثاليته في تحمله لمهام وظائفه، وحَسَد بعض منافسيه له، ورفض آخرين لحزمه وهمته في النهوض بشؤون عمله، اضطرته أحياناً لخوض صراعات مع هولاء وأولئك الذين تعارضت مصالحهم ونفوذهم مع سياسته وجهوده، وكُتب ليَلْبُغَا السّالميّ النصر على هولاء الخصوم والمنافسين تارة، ونالوا منه تارة أخرى، وبالرغم من ذلك كله فقد تحلى يَلْبُغَا السّالميّ بالخلق القويم، وأحكام الإسلام، فلم يخادع أو يراوغ خصومه كما يفعلون معه، ولم يتبع وسائل ممقوته أو مرذولة في التصدي لهم أو النيل منهم، كتلك التي شاعت واشتهرت في العصر المملوكي من الغدر والخيانة والتربص بالخصوم حتى موراتهم الثرى، وما ذلك كله إلا لخلقه القويم، ونهجه السديد، وتقواه وورعه وعفته.

رابعاً: اتضح من خلال دراسة هذا الموضوع أن يَلْبُغَا السّالميّ بالإضافة إلى ما سبق ذكره من مناقب وصفات شخصية محمودة، كان طاهر اليد عفيفاً عما لايحل له من الأموال، فلم يثبت عليه جور في مال من أموال الدولة، مما كان تحت يده على ضخامته، كما أنه لم ينل شيئاً من أموال الناس وثرواتهم بغير حقه، ولم يضعه إلا في مستحقه وفق اجتهاده، سواء أصاب فيه أم جانبه الصواب، وظل يَلْبُغَا السّالميّ على سجيته وفطرته القويمة تلك طيلة فترة ولاياته للوظائف، فلم يقف المتربصون به والكائدون له على دينار أو درهم مما لايحل له عقب عزله من الوظائف غير مرة، بل اضطر الرجل للوفاء بما فرض عليه لبيع كتبه وقماشه ذات مرة، ولم يعثروا كذلك على شيء من ثروات له قلت أو جلت بعد نكبته الأخيرة وسجنه ثم قتله، فغادر الدنيا تقياً نقياً ورعاً، طاهر اليد واللسان، شهيداً صائماً يشكو إلى الله ظلماً عظيماً حل به من خصومه ومنافسيه وبعض معاصريه، الذين لم يرقبوا فيه إلّا ولا

ذمة، ناهيك عن اتهامات باطلة حيكت له ما أنزل الله بها من سلطان، كما تكالبت عليه التهم جزافاً، تلك التي تناثر شظاها في ثنايا كتابات بعض المؤرخين، بيد أنه يناقضها واقع الحال والمآل للرجل، وما خلفه من جلائل الأعمال، وما زال يَلْبُغَا السّالميُّ ينتظر في رقاده ومثواه الأخير من يميط عن تاريخه اللثام، ويكشف عنه النقاب، ويزيح عنه ركام هذه الروايات، ويحيي ذكراه الناصعة بين الناس، ويظهر حقيقتة وصفاته القويمة للعيان، وينصفه بقدر المستطاع في مماته، بعد أن أُغمط حقه في حياته، مصداقاً لما ورد في الأثر :"من وّرخ مؤمناً فكأنما أحياه"، ولتكون في قصتة عبرة لأولي الألباب.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : المصادر .

ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م .

١- بدائع الزهور في وقائع الدهور .

الجزء الأول القسم الثاني، حققه وكتب له المقدمة والفهارس د/ محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دط، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م .

٢- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي .

ثلاثة عشر جزءاً، حققه د/ محمد محمد أمين ود/ سعيد عبد الفتاح عاشور، ود/ نبيل محمد عبد العزيز ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ودار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، دط،١٩٨٤- ٢٠٠٩م.

٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهــرة .

ستة عشر جزءاً، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د ط، ١٩٣٠ – ١٩٧٢م .

حاجي خليفة :مصطفى بن عبد الله الرومي ت١٠٦٧هـ / ١٥٥٦م

٤ – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م .

ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م .

٥ – إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ .

تسعة أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

٦ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .

ستة أجزاء، تحقيق / محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد ، الهند ، ط ٢، ١٩٧٢م .

٧ – ذيل الدرر الكامنة .

تحقيق د / عدنان درويش، معهد المخطوطات العربية، القاهرة ، دط، ١٤١٢ هــ / ١٩٩٢ م

السحماوي: شمس الدين محمد ت ٨٦٨هـ / ١٤٦٤م .

٨- الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم . المعروف باسم المقصد الرفيع المنشا الهادي لديوان الإنشا للخالدي .

جزءان، دراسة وتحقيق د/ أشرف محمد أنس، مراجعة د/ حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، د ط، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م .

السخاوي: محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م .

٩- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع .

اثنا عشر جزءاً، دار الجيل، بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
١٠ – وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام .
أربعة أجزاء، تحقيق د/ بشار عواد معروف، وعصام فارس، ود/ أحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
ابن الصيرفي : علي بن داود الجوهري ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م .
١١– نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان.
الجزء الأول والثاني، تحقيق وتعليق د/ حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، د ط، ١٩٧٠– ١٩٧١م .
ابن قاضي شهبة : تقي الدين أبو بكر أحمد ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م .
١٢– تاريخ ابن قاضي شهبة .
أربعة أجزاء، للفترة من٧٤١هـ إلى ٨٠٨هـ، تحقيق/ عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، د ط، ١٩٩٤م – ١٩٩٧م .
القلقشندي : أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م .
١٣– صبح الأعشى في صناعة الإنشا .
خمسة عشر جزءاً، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه/ محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، بيروت ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
المقريزي : أحمد بن علي بن على عبد القادر ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م .
١٤ – درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة .
أربعة أجزاء، تحقيق د / محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١،١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م
١٥ – كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .
ثمانية أجزاء، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .
١٦ – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .
أربعة أجزاء، وضع حواشيه/خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م
١٧– معجم البلدان .
سبعة أجزاء، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

ثانياً : المراجـــــع .

البقلي: محمد قنديـــل .
١٨– التعريف بمصطلحات صبح الأعشى .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د ط ، ١٩٨٣م .
الخطيب : مصطفى عبد الكريم .
١٩ – معجم المصطلحات والألقاب التاريخية .
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
دهمان: محمد أحمـــد .
٢٠– معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي .
دار الفكر ، دمشق ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
دُوزِي: رينهارت بيتر آن ت ١٣٠٠هـ/ ١٣٨٢م.
٢١– تكملة المعاجم العربية .
أحد عشر جزءاً، نقله إلى العربية وعلق عليه / محمد سليم النعيمي وجمال خياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م .
رمزي : محمد.
٢٢– القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م
قسمان، خمسة أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ط ، ١٩٩٤م .
الشهابي: قتيبة.
٢٣– معجم دمشق التاريخي .
ثلاثة أجزاء، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، دط، ١٩٩٩م.
عاشور : سعيد عبد الفتاح .
٢٤– العصر المماليكي في مصر والشام.
مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٤م .
العريني: السيد الباز.
٢٥– المماليك .
دار النهضة العربية، بيروت، دط، ١٩٧٩م،
عمارة: محمد.
٢٦– قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية .
دار الشروق، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م.
العمايرة: محمد عبدالله سالم.
٢٧– المعجم العسكري المملوكي .
دار كنوز المعرفة، عمان ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
كي لسترنج :

٢٨- بلدان الخلافة الشرقيـــــة .
نقله إلى العربية وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ، ووضع فهارسه بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
مجمع اللغة العربية.
٢٩- المعجم الوسيط .
مكتبة الشروق الدولية ، ط٤ ،١٤٢٥هـــ/٢٠٠٤م.
ويستنفلد:
٣٠- جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها .
ترجمة د/ عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، ١٩٨٠م .

فهرست الموضوعات

الموضـــــــــــــــوع		الصفحة
مقدمـــــة.		٩٢٩
المبحث الأول.	حياة يَلْبُغَا السَّالميّ ووظائفه.	٩٣١
	أولاً: نشاة يَلْبُغَا السَّالميّ وحياته في عصر السلطان برقوق.	٩٣١
	ثانياً: ولاية يَلْبُغَا السَّالميّ الأولى للأستادارية سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٩م، وصراعه مع نائب الغيبة وقضية الجبايات.	٩٣٧
	ثالثاً: تعيين يَلْبُغَا السَّالميّ مشيراً ثم أستاداراً سنة ٨٠٥ هـ/١٤٠٣م.	٩٥٢
	رابعاً: تعيين يَلْبُغَا السَّالميّ مشيراً سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، وصراعه مع جمال الدين الأستادار ثم مقتله.	٩٥٤
	خامساً: حكم المؤرخين على يَلْبُغَا السَّالميّ وتقييم لجهوده وصفاته.	٩٥٨
المبحث الثانى.	جهود يَلْبُغَا السَّالميّ وأعماله.	٩٦١
	أولاً: جهود يَلْبُغَا السَّالميّ في النظر على بعض المنشآت الدينية ٧٩٧ - ٨٠١هـ/١٣٩٥- ١٣٩٩م.	٩٦١
	ثانياً: الجهود المالية والاقتصادية ليَلْبُغَا السَّالميّ ٨٠١ - ٨٠٦هـ/١٣٩٩-١٤٠٤م.	٩٦٧
	ثالثاً : الجهود الشرعية ليَلْبُغَا السَّالميّ سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م.	٩٧٤
خاتمـــــة.		٩٧٦
ثبت المصادر والمراجع.		٩٧٩
الفهرست.		٩٨٣